التشريعات القانونية للأباطرة والملوك وأثرها على ازدهار القانون الروماني والكنسي (٥٠٧-١١٤٠م)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على تطور التشريعات القانونية في أوروبا والمراحل التي مرت بها في الفترة (٥٠٧-١١٤٠م) ، فبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام ٤٧٦م على أيدي القبائل الجرمانية ، قام عددًا من الملوك الجرمان بسن وإصدار القوانين منذ بداية القرن السادس الميلادي ، بهدف تحقيق الأمن والاستقرار، وتنظيم العلاقة بين الجرمان وبين السكان الأصليين " الرومان " داخل هذه الممالك ، ولكن هذه التشريعات كانت بسيطة وبدائية تعتمد بشكل أساسي على القوانين العرفية لهذه القبائل، وسمحوا للرومان بتطبيق القانون الروماني في شئونهم الخاصة ، ومع نهاية القرن السابع وحتى بداية القرن الحادي عشر الميلادي انطفأت جذوة التشريعات القانونية في غرب أوروبا بسبب اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

هذا على العكس من الشرق البيزنطي الذى ازدهرت فيه التشريعات القانونية وبخاصة فى عهد الإمبراطور جستنيان الأول **Justinianl** (٥٢٧-٥٦٥م) ، الذي أحدث نهضة تشريعية كبرى خلدت اسمه فى التاريخ ، حيث قام بجمع وتبويب وتنقيح القانون الروماني خلال عدة مراحل إلى أن تم جمعه في مجموعة واحدة وهي مجموعة القانون المدني لجستنيان " **Corpus Juris Civilis** " ، وبعد وفاته أصدر بعضًا من أباطرة الأسرتين الأيسورية(٧١٧-٨٠٢م) والمقدونية (٨٦٧-١٠٥٦م) مجموعة مهمة من القوانين مثل الإيكلوجا **Ecloga** والبازيليكا **Basilika** لتلائم روح العصر والتغيرات التي حدثت خلال هذه الفترة ، واعتمدوا فيها بشكل رئيسي على قوانين جستنيان ، كما اهتموا بدراسة القانون الروماني بجامعة القسطنطينية، وتم إحياء دراسته فى الغرب مرة أخرى منذ نهاية القرن الحادي عشر الميلادي لحسم النزاع بين البابوية والإمبراطورية ، ثم أصدرت الكنيسة الغربية قانونها الكنسي الذي نسبته لنفسها لتزيد من سلطتها الفعلية وتحد من تدخل الأباطرة والأمراء فى اختصاصاتها .

الكلمات المفتاحية: التشريعات القانونية، القانون الروماني، القانون الكنسي، إرنريوس، جراتيان .

The legal legislations of Emperors and Kings and Their impact on the Flourishing of Roman and Canon Law

(507-1140 AD)

Abstract:

This study aims to shed light on the evolution of legal legislation in Europe and the phases of the period (507-1140 AD), after the fall of the Roman Empire in the West in 476 AD by the Germanic tribes and the establishment of their monarchs on their ruins, a number of Germanic monarchs have enacted and promulgated laws since the beginning of the sixth century AD, with the aim of achieving security and stability and regulating the relationship between Germans and indigenous peoples. "Romans" within these kingdoms, but these legislations were simple and primitive, relying mainly on the customary laws of these tribes, and allowed the Romans to apply Roman law in their own affairs. By the end of the seventh to the beginning of the eleventh centuries, legal legislation in Western Europe was extinguished by turbulent political, economic and social conditions.

This is in contrast to the Byzantine East, where legal legislation flourished, especially during the era of Emperor Justinian I (527-565 AD), which was the most recent major legislative renaissance in history, compiled, compiled and revised Roman law during several stages until it was compiled into one group, the "Corpus Juris Civilis" Civil Code, and after his death issued some of the tycoons of the Icelandic families. (717-802AD) and Macedonian (867-1056AD) important set of laws such as Ecloga and Basilika to fit the zeitgeist and changes during this period in which they relied mainly on the laws of Justinian and were interested in the study of Roman law at the University of Constantinople which has been revived in the West again since the end of the 11th century to resolve the dispute between the papacy and the Empire, The Western Church then promulgated its own canon law to increase its de facto authority and limit interference by emperors and princes in its competences.

Keywords: Legal Legislation, Roman law, Church Law, Ernerius, Gratian.

مقدمة:

تُعد دراسة التشريعات القانونية في أوروبا خلال حقبة العصور الوسطى أمرًا بالغ الأهمية ؛ لأنها تلقي بظلالها على كل من القانون الروماني والقانون الكنسي، فمن المعروف أنَّ القانون الروماني أصدرته الإمبراطورية الرومانية منذ عصور ما قبل الميلاد حتى سقوطها في الجزء الغربي على أيدي القبائل الجرمانية عام ٤٧٦م، لتحكم به معظم أرجاء المعمورة ما عدا الهند وبلاد فارس، وجُمع هذا القانون وتم تنظيمه في مجموعات قانونية في الجزء الشرقي من الإمبراطورية، في عهد كل من الإمبراطور البيزنطي ثيودسيوس الأول الملقب بالكبير **Theodosiusl** (٣٧٩-٣٩٥م) [١]، وحفيده ثيودسيوس الثاني **Theodosiusll** (٤٠٨- ٤٥٠م) [٢] ، ثم في عهد

---

(١) **ثيودسيوس الأول** : ولد فى إسبانيا فى الحادي عشر من يناير عام ٣٤٧م، وهو ابن الجنرال ثيودسيوس الأكبر الذى أجبره الإمبراطور جراتيان علي الانتحار فى عام ٣٧٥م عندما ذاع صيته كحاكم فى بريطانيا وإفريقيا، وبعد ثلاث سنوات استدعى جراتيان الابن الذى كان يحمل نفس اسم الاب من إسبانيا وعينه قائدا للفرسان ثم رقاه إلى درجة أُغسطس عام ٣٧٩م ، ثم اسند إليه حكم الجزء الشرقى من الامبراطورية. للمزيد عنه انظر: عفاف سيد صيره، تاريخ الدولة البيزنطية، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، الأردن ، ٢٠١٢، ص ٣٥.

(٢) **ثيودسيوس الثاني** : ولد الامبراطور ثيودسيوس الثاني بالقسطنطينية في العاشر من أبريل عام ٤٠١م، ويُذكر أنه كان نحيف الجسد، ولكنه كان حاد البصر وقوي الملاحظة، تعلم اليونانية واللاتينية، وعِلم البيان والرياضيات على يد رئيس دواوين الحكومة Master Officiorum ويدعى أنطيوخوس Antiochus، تولى عرش الامبراطورية بعد وفاة أبيه عام ٤٠٨م تحت وصاية أنثيموس الوالى البريتورى لمدة سبع سنوات، ثم انتقلت الوصاية لأخته الكبرى بولكيريا pulcheria ولكنه نجح فى التخلص من وصايتها عليه وانفرد بالحكم، وكان محبوبًا من الجميع سواء من الشعب ومن السناتو .

John Malalas، The Chronicle of John Malalas، trans by. ElizabethJeffreys&MichaelJeffreys&RogerScoot، Melbourne،1986، p.195.

MarcellinusComes،The Chronicle of Marcellinus، trans، by.Croke،B، Australian Association for Byzantine Studies، 1995 ، P.11.

Theophanes، The Chronicle of Theophanes Confessor، Byzantine Near Eastern History (284-813 AD)، Trans.by، Magno. C، &Scott . R، Clarendon press، Oxford،1997,p.125.

إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة ، ١٩٩٧، ص ١٦٧.

الإمبراطور جستنيان الأول I **Justinian** (٥٢٧-٥٦٥م) صاحب أعظم وأكبر نهضة قانونية فى العصور الوسطى [١]، ثم سار على دربه بعض أباطرة الأسرتين الأيسورية (٧١٧- ٨٠٢ م) والمقدونية (٨٦٧-١٠٥٦م)، فسنوا بعض التشريعات والقوانين المهمة لتواكب التطورات والمستجدات التى حدثت خلال فترة حكمهم، وساهمت هذه المجموعات فى حفظ القانون الروماني من الضياع وحفظ الأمن والاستقرار داخل أراضي الإمبراطورية المتسعة الأرجاء.

أمَّا في الغرب فقد قام عددا من الملوك الجرمان[٢]، بسن القوانين التى تُنظم

---

(١) **جستنيان:** هو فلافيوس بيتروس ساباتيوس، ولد في توريزيوم Tauresium، وهي مدينة ناطقة باللاتينية في الإمبراطورية البيزنطية حوالي عام ٤٨٢ م، واتخذ اسم جستنيان تكريمًا لعمه بالتبني، حكم جستنيان الإمبراطورية من ٥٢٧-٥٦ ٥ م، ولم يكن جستنيان من أصل روماني ولكنه وُلِد في إليريا (يوغوسلافيا الآن) لأبوين ناطقين باليونانية، وتعلم في القسطنطينية، وكان يعمل في قوات الحرس الشخصي للامبراطور أنستاسيوس الأول، وعندما تولى الامبراطور جستين I Jastinus (٥١٨-٥٢٧م) الحكم عيَّن ابن أخيه جستنيان في وظيفة قائد قوات الحرس الامبراطوري، ثم وظيفة القائد العام للجيش البيزنطي Magister militum، ثم استعان به جستين في إدارة شؤون الدولة والحكم، وعندما مرض الامبراطور نجح رجال السناتو في إقناعه بتعيين جستنيان قيصرًا مشاركًا له في الحكم، وبعد وفاته تولى جستنيان الحكم.

Procopius of Caesarea، History of the Wars، Trans، by، Dewing، H. B، vol. I، Loeb Classical Library، London and New York 1914-1928،p.101.

Joshua the Stylite، The Chronicle of pseudo- Joshua the Stylite، Trans. By، Trombley F.R.، and Watt J.W،Liverpool،2000،p.318.

Marcellinus Comes،TheChronicleof Marcellinus،p.43.

(٢) **الجرمان:** هم مجموعات كثيرة من القبائل التي سكنت المناطق المحيطة بالبحر البلطي وشبه جزيرة إسكندناوة "شمال أوروبا"، من أهمها القوط الغربيون، القوط الشرقيون، الوندال، الفرنجة، الألماني، السويفي، البرجنديون، الفريزيون، السوابي، اللمبارديين، الإنجليز، السكسون، الجوت... وغيرهم، تحدثوا باللغة الهندو- أوروبية، وتميزوا عن غيرهم بصفات جسمانية معينة مثل العيون الزرقاء الحادة، والشعر الأصهب، مع قوة في الجسم؛ مما ساعدهم على القيام بالأعمال العنيفة القاسية، وكانوا من أقل الشعوب تحملًا للظمأ والحر، أمَّا البرد فقد تعودوا عليه نتيجة للمناخ والتربة. وللمزيد عن الجرمان انظر : تاكيتوس، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة/ إبراهيم علي طرخان، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢٩-٥٠، نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ترجمة/ قاسم عبده اسم، ج١، دار عين، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٤٦، محمود عبد الله مهدي عبد الحافظ، الزواج السياسي في أوروبا في العصور الوسطى (٤٩٢-٧٧٠م)، نور حوران، سوريا، ٢٠٢٠، ص٦٨.

العَلاقة بين السكان الأصليين "الرومان" وبين شعوبهم معتمدين فى البداية على مبدأ الفصل في القوانين، بمعنى أن كل جنس يعيش بقوانينه الخاصة به ، وبمرور الوقت تأثر الملوك الجرمان بالقانون الروماني واستعانوا به في سن قوانينهم ، وعاش المجتمع تحت ظل قانون واحد وأُلغي مبدأ الفصل فى القوانين، ومع بداية القرن السابع وحتى نهاية القرن العاشر الميلادي، بدأ الاهتمام بسن القوانين يقل شيئًا فشيئًا ، وذلك بسبب الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى شهدتها أوروبا ، والمتمثلة في الفتوحات الإسلامية التي وصلت لقلب أوروبا وغزوات قبائل الفايكنج ، وظهور النظام الإقطاعي واختفاء الحكومات المركزية ، ومع زوال هذه المخاطر بحلول القرن الحادي عشر الميلادي ، وبالإضافة إلى النزاع على السلطة الزمنية بين الأباطرة والبابوات ، ازدهرت التشريعات القانونية في الغرب مرة أخرى لأن كل من الطرفين سعى جاهدًا لإثبات أحقيته فى السلطة عن الآخر ، فتم إحياء دراسة القانون الروماني وتنقيحه وتفسيره ، وحرص الأباطرة على تعلُم القانون وتعليمه لمستشاريهم، وسنت الكنسية برعاية البابوية القانون الكنسي لتتخذ منه سندًا لها في إثبات نظرية السمو البابوي ، ولتبطل ادعاءات الأباطرة حول أحقيتهم بالتقليد العلماني لرجال الدين داخل أراضيهم.

الدراسات السابقة :

هناك عدد من الدراسات السابقة التي أفادت البحث منها مجموعة القانون المدنى"Corpus Juris Civilis " للإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)، التي أصدرها فى القرن السادس الميلادي بهدف جمع وتنظيم القوانين الرومانية، وتحديثها بما يتناسب مع احتياجات الإمبراطورية البيزنطية فى عصره، وتُمثل هذه المجموعة أساس القانون الروماني المتأخر ومرجعًا مهمًا لدراسة التشريعات القانونية فى أوروبا، وتتألف من أربعة أجزاء رئيسة هى (مجموعة القوانينCodex Jusinian، الشرائع Institutes، الموجز Digest، والمتجددات Novellae).([1])

ثم تأتي دراسة بيتر شتاين peter Stien ([2]) وهو من أهم مؤرخي القانون المتخصصين فى دراسة تأثير القانون الروماني على الأنظمة القانونية المختلفة فى العصور الوسطى ، وعنوانها Roman Law in European History، وتعد مَرجِعًا مُهمًا لأنها تتناول كيفية استمرار تأثير

(1) Jusinian I. Corpus Juis Civilis، Edited by، paul Kuger، Weidmannos، Berlin، 1906.

(2) Stien،P. Roman law in European History، Cambridge university،1999.

القانون الرومانى وتشكيله للأنظمة القانونية المختلفة ، وأثره فى ازدهار القانون الكنسى، ويناقش أيضًا العَلاقة بين القانون الرومانى والقانون الكنسي، وكيف ساهما فى تشكيل الفكر القانوني الأوروبى.

وهناك أيضًا دراسة لألكسندر وينروث Winroth,A وجون تيت .Tate,J ([1]) بعنوان تعليم القانون فى القرن الثانى عشر الميلادي Teaching Law in Twelfth Century ناقشا فيها تأثير القانون الروماني والكنسي على التعليم القانونى فى العصور الوسطى، وطريقة دراسة القانون فى مدارس القرن الثاني عشر الميلادى.

ولعلَّ ما دفعني لاختيار هذا الموضوع هو تسليط الضوء على أهمية القوانين فى حياة الشعوب وحرص الأباطرة والملوك وكذلك البابوات على سن القوانين، لتحقيق أهدافهم السياسية والدينية ، الاجتماعية والاقتصادية ، وأيضًا عدم وجود دراسة عربية متخصصة قائمة بذاتها حول هذا الموضوع بالرغم من أهميته ، فقد ورد بين ثنايا عدد من المراجع العلمية المتخصصة في دراسة تاريخ العصور الوسطى؛ لذلك رأيتُ أنْ يكون موضوع " التشريعات القانونية للأباطرة والملوك وأثرها على ازدهار القانون الروماني والكنسي (٥٠٧-١١٤٠م) " موضوعًا للبحث.

محاور البحث:

تمَّ تقسيم هذا البحث إلى أربعة محاور تليهم الخاتمة ، يتناول المحور الأول تعريف القانون والقانون الرومانى بصفة خاصة وأسباب صدوره ، ثم مراحل تطوره حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية فى الغرب عام ٤٧٦ م، وجاء المحور الثاني ليشمل قوانين الممالك الجرمانية فى أوروبا خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين ، بينما جاء المحور الثالث ليقدم التشريعات القانونية للأباطرة البيزنطيين مثل جستنيان الأول، وليو الثالث الأيسورى **LeoIII** (٧١٧م -٧٤١م) وابنه قسطنطين الخامس **V Constantine** (٧٤١-٧٧٥م)، ثم باسل الأول المقدوني **Basil I** (٨٦٧-٨٨٦م) وابنه الإمبراطور ليو السادس LeoVI (٨٨٦-٩١٢م) وأثرها على كافة نواحي الحياة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والدينية ، وتحدثتُ في المحور الرابع عن إحياء دراسة القانون الروماني فى أوروبا وأثرها فى ظهور وازدهار القانون الكنسي ، واختتم البحث بخاتمة تحتوى على بعض النتائج التى توصل إليها البحث.

([1])Winroth، A & Tate، J. The Teaching of Law in the Twelfth Century، Copenhagen، 2006.

١- القانون الروماني ومراحل تطوره :

أولا - القانون الرومانى Roman law :

شكَّل القانون الروماني مع القانون الكنسي نظامًا قانونيًّا متماسكًا ومستقلًا يسمى القانون العام الأوروبي، تم تدريس هذا النظام القانوني في الجامعات خلال العصور الوسطى، وفي بعض البلدان الأوروبية في وقت لاحق [١]، فالقانون **law** هو لفظ غير عربي، وجمعه قوانين، ومفرده قانون، ويعرف بأنه مجموعة من القواعد والمباديء التي تنظم سلوك الأفراد والمؤسسات داخل المجتمع، وتُسن هذه القواعد بواسطة السلطات التشريعية، وتُطبق بواسطة السلطات التنفيذية والقضائية، ويهدف القانون إلى الحفاظ على النظام العام وتحقيق العدالة وحماية حقوق الأفراد والمجتمع [٢].

أما القانون الروماني فقد عرفه الفقيه الروماني سلسس**Celsus** بأنه فن تحقيق الخير والعدل " **Ius est ars boni et aequ** " [٣]، وهو قانون روما القديمة Rome منذ تأسيس المدينة عام ٧٥٣ ق. م وحتى سقوط الإمبراطورية الغربية في القرن الخامس الميلادي [٤]، وظل مستخدَمًا في الإمبراطورية الشرقية أو البيزنطية حتى عام ١٤٥٣م ، وقد أثَّر القانون الروماني على تطور القانون في معظم الحضارة الغربية وكذلك في أجزاء من الشرق، فاستمد العالم الغربي من هذا القانون معظم القواعد والأسس المتعلقة بتنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ القدم وحتى الآن [٥].

ومن الواضح أن هذا القانون قد غطَّى جميع جوانب الحياة اليومية؛ لأنه اهتم بالجريمة والعقاب وملكية الأراضي والممتلكات، والتجارة، والصناعات البحرية

([1])Winroth، A. The making of Gratian's Decretum، Cambridge University Press، 2009 ،P.2.

([2]) Benditt، M.E. law as Rule and principle،Stanford University، 1978، pp.199-202.

([3])Häusler،A. Roman law، Introduction to Swiss Law، Universität Zürich،2023،p.3.

([4])https://www.britannica.com/topic/Roman-law.

([5]) The Law of Salian Franks، Translated and Introduction by. Drew، K.F،university of Pennsylvania، Philadelphia،1991،p14.

عفاف سيد صبره: صداق المرأة البيزنطية وحقوقها القانونية من واقع مدونة جستنيان Codex Justinunus، مجلة المؤرخ العربي، الجزء الأول- العدد ٢٧، ٢٠١٩، ص ١٦.

والزراعية، والمواطنة، والأعمال المنافية للآداب العامة "العلاقة غير الشرعية بين الرجل والمرأة"، والعبودية والعتق والسياسة، والمسؤولية، والأضرار التي تلحق بالممتلكات والحفاظ على السلام.

كما يمكننا دراسة هذه القوانين اليوم بفضل النصوص القانونية القديمة والأدب والبرديات والألواح الشمعية والنقوش، حيث تمت صياغة القانون الروماني من خلال مجموعة متنوعة من الوسائل، عن طريق القوانين والقرارات القضائية، والمراسيم الإمبراطورية، ومراسيم مجلس الشيوخ، وتصويت الجمعية العامة والاستفتاءات العامة، ومداولات المستشارين القانونيين الخبراء، فهو واحد من أعظم إسهامات روما في الحضارة الإنسانية وهو سبب شهرتها الدائمة حتى الآن؛ لأنها نجحت في إنشاء نظام قانوني متطور يكيف نفسه باستمرار مع مجتمع دائم التغير والتطور [١]، وترجع القيمة العلمية لدراسة القانون الروماني إلى ما يحتويه من مفاهيم ونظريات قانونية تبلورت عبر مئات السنين، وما زالت راسخة في علم القانون حتى اليوم [٢].

أما عن السبب الرئيس والذي دفع الإمبراطورية الرومانية لسَنِّ القوانين، هو حاجتها المُلحة إلى تنظيم العلاقة بين أهالي الإمبراطورية خاصة بعد أن اتسعت حدودها، وضمَّت عناصر جديدة وشعوب كثيرة متباينة؛ مما دفع الحكومة إلى إصدار قوانين وتشريعات تناسب هذا العدد الضخم من الشعوب، التي اختلفت بعضها عن

([1]) Mousourakis ،G. Alegal History of Rome، London and New York، 2007،P.IX.

Cartwright،M. Roman Law، World History of Encyclopedia، 24 November 2013، https://www.worldhistory.org/Roman_Law.

Häusler،A. Roman law،p.3.

عفاف سيد صبره: صداق المرأة البيزنطية، ص ١٦.

([2])The Law of Salian Franks،pp.13-18.

Walton، F، P. Historical Introduction to Roman Law، London، 1916 ، p.255.

أسامه إبراهيم حسيب: النظم القضائية والتشريعية فى إنجلترا عهد الملك هنري الثاني، ١١٥٤-١١٨٩م، مجلة المؤرخ العربي، الناشر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد (٢٠)، ٢٠١٢، ص ٢٠٣.

بعض في لغاتها وديانتها، وتراثها التاريخي وحضارتها، ودعت الحاجة إلى رعاية شؤونها وتنظيم علاقاتها فيما بينها وبين الدولة. (١)

ولابد أن نشير أنه كان للعرف السائد بين الناس **Mores Majorum** دور مهم في نشأة هذا القانون وتطوره، ويُعد العرف بمثابة قاعدة للقانون الذي يستند إلى عادات الناس ، وما دام التشريع يستمد قوته من قبول الشعب له ، فإن ما يرتضيه الشعب دون أن يكون مدونًا ينبغي أن يكون مُلزِمًا للجميع، وفي البداية كان رجال الدين يقومون بتفسير القانون والإفتاء فيه، وظلَّ القانون يقوم على مجموعة من الأعراف والتقاليد الدينية التي ينفرد رجال الدين بالعلم بها، وبذلك يُعد القانون تقنينًا للأعراف المتبعة، حتى وإن كان لا يتناول بالتنظيم كافة تفصيلات النظم والمعاملات القانونية، ثم ظهرت بعد ذلك طائفة من المدنيين شاركوا رجال الدين في تفسير القانون(٢).

لذلك أدخلت الإمبراطورية على القوانين التقليدية الرومانية القديمة الكثير من التعديلات بهدف إكسابها مرونة، وإعطائها شمولًا يتناسب مع الأوضاع الجديدة،، وأدى ذلك إلى ظهور ما عُرف بقانون الأمم، واشتملت هذه التعديلات على كثير من التشريعات المهمة الخاصة بالزواج، والميراث، والشركات، والحجج، ولبعض الوقت سارت القوانين المدنية القديمة جنبًا إلى جنب مع التشريعات المستحدثة ثم ما لبثا أن امتزجا ليكوِّنا معًا القانون الروماني المعروف(٣).

وينقسم تاريخ القانون الروماني إلى فترتين رئيسيتين، تمتد الأولى أكثر من ألف سنة منذ تأسيس دولة المدينة روما إلى تدوين جستنيان (٥٢-٥٦٥م) للقانون في

---

(١) أسامة إبراهيم حسيب: النظم القضائية والتشريعية، ص ٢٠٣.

See: Glanville، R. The Law and Customs of The Kingdom in England، Trans، by.John Beames،J، London،1812،P.XXXVIII .

Melville، R.D. Amanual of Principles of Roman Law، Edinburgh،1918 ، p.35.

Crook، J. A. Law and Life in Rome، London، 1971، P.21.

(٢) أسامة إبراهيم حسيب: النظم القضائية والتشريعية، ص ٢٠٣.

See: Glanville، R. The Law and Customs of The Kingdom، P. 38.

Melville، R.D. Amanual of Principles of Roman Law ، p.35.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، النهضات والحضارة والنظم، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦، ص ٤٠٢.

محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص٢٤٣.

القرن السادس الميلادي، أما الفترة الثانية فبدأت من منتصف القرن السادس ومع ذلك لم تكتسب أهمية حقيقية إلا فى نهاية القرن الحادي عشر الميلادى، عندما تم اكتشاف القانون الروماني وإحياؤه في الغرب، ليُصبح موضوعًا للدراسة الأكاديمية فى البداية، وبمرور الوقت انتشر تأثيره واعتمدت عليه كل من الدولة والكنيسة كأساس لتنظيم شئونها وتحقيق سياستها.(١)

ثانيا – مراحل تطور القانون الروماني :

لقد مر هذا القانون بعدة مراحل قبل عصر جستنيان، الأولى مرحلة التقنين في عهد دقلديانوس **Dicletianus** (٢٨٤– ٣٠٥م) (٢)، حيث تم جمع القوانين الأساسية التي صدرت منذ عهد الإمبراطور هادريان **Hadrian** (١٣٨–١١٧م) حتى هذه الفترة وتوثيقها في نصوص مكتوبة ومنظمة قابلة للتطبيق بشكل موحد ومنظم (٣) ، ثم حدث تطور في هذا القانون نتيجة للإصلاحات التي قام بها الإمبراطور لكي يُنقذ الإمبراطورية من الضعف والتدهور الذي ألمَّ بها، ولكنه جعل إرادة الإمبراطور الممثلة في مراسيمه هي الإرادة العليا التي يجب أن تسمو على جميع ما عداها من تشريعات وقوانين، فأصبح القضاة خُدامًا للإمبراطور لا للعدالة، وعليهم أن يلمُّوا أولًا بالمراسيم الإمبراطورية ويحرصوا على تنفيذها في أحكامهم (٤)،

---

(1) George، M. Roman Law، Medieval Jurisprudence and the Rise of the European Ius Commune: Perspectives on the Origins of the Civil Law، Max Planck Institute،2014، P.23.

Mousourakis،G. Alegal History of Rome،P.IX.

(٢) **دقلديانوس** : هذا الامبراطور من أسرة رقيقة الحال من إقليم دالماشيا في آسيا الصغرى، تقلَّد وظيفة قائد الحرس الخاص في مدينة نيقوميديا ونادى به الجيش المرابط في هذه المدينة امبراطورًا في العشرين من نوفمبر عام ٢٨٤م، ألقى على عاتقه مهمة إنقاذ الامبراطورية من التدهور الذي حل بها، وتعتبر إصلاحاته إحدى نقاط التحول المهمة في التاريخ الأوروبي، وتوفي في عام ٣٠٥م بعد صراع مع المرض.

Zosimus، The New History of Count Zosimus، Advocate and Chancellor of The Roman Empire، Translated from Original Greek، London،1814، pp.35–36.

Theophanes، The Chronicle of Theophanes ، P.6.

(٣) نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس، ومحمود يوسف، القاهرة، ١٩٥٠ص ٢٤٩–٢٥٠.

(4)The Law of Salian Franks،p.18.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص ٤٠٢.

ثم بدأت المرحلة الثانية في عهد الإمبراطور ثيودسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م)[١]، الذي أصدر مجموعة كبيرة من القوانين التى مثلت جزءًا مهمًا من مجموعة جستنيان القانونية فيما بعد، واشتملت هذه المجموعة على قوانين تخص الأحوال الشخصية مثل (الوصاية على الصغار، الخطبة، الزواج، الطلاق، الميراث والجرائم الأخلاقية، أوضاع الفقراء والعبيد)، وأخرى سياسية تتمثل في (القوانين العسكرية والقضائية، وقرارات مجلس الشيوخ) واقتصادية شملت (صك العملة، الضرائب والأراضى الزراعية) . [٢]

وأكمل من بعده حفيده الإمبراطور ثيودسيوس الثاني (٤٠٨- ٤٥٠) [٣]، الذي أمر بتدوين القانون الروماني بأكمله في عام ٤٣٨م ، وجمعه في مجموعة موجزة ليُسهل على الطلاب دراستها في جامعة القسطنطينية التي اكتمل بناؤها بفضل جهوده، وأعدت هذه المجموعة القانونية لجنة من القضاة والمحاميين المهرة، الذين تميزوا بمعرفتهم بالقانون الكلاسيكي والفقه الروماني، واستغرق العمل في جمعها مدة ثماني سنوات انتهى العمل بها فى يناير ٤٣٩م ، ضمت أكثر من ألفين وخمسمائة مرسوم قانوني وسميت بمجموعة ثيودسيوس القانونية **Codex Theodosianus** نسبة إليه، وكتبت باللغة اللاتينية وكانت جمعًا لقوانين وتشريعات الأباطرة منذ زمن قسطنطين الأول **Constantine I** (٣٠٦- ٣٣٧م) وحتى عهد ثيودسيوس [٤]، تم ترتيبها في ستة عشر كتابًا، كل كتاب يتناول موضوع مختلف عن الآخر وتم ترتيب

---

(١) عفاف سيد صيره، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٣٥.

(2) Kearly،T.G. Jastice Fred Blume and The translation of Justinian Codes،Law liberary، 2007،pp.99-525.

(3) MarcellinusComes،The Chronicle، P.11.

Theophanes، The Chronicle of Theophanes، p.125.

(٤) **قسطنطين الاول** : ولد فى عام ٣٧٢م وتقلد عرش الامبراطورية بعد تنازل دقلديانوس وزميله مكسيميانوس عن الحكم ، خاض حروبًا عديدة حتى نجح فى توحيد الامبراطورية تحت سيادته، وقام بالعديد من الاصلاحات والمشروعات منها بناء مدينة القسطنطينية ، ونقل العاصمة من الغرب إلى الشرق،وتوفى فى نيقوميديا عام٣٣٧م .

مرفت محمد عبدالفتاح الديب، دور اليهود فى الدولة البيزنطية (٥٢٧-١٠٢٥م)، نور حوران، سوريا، ٢٠٢٠، ص٧٥.

الموضوعات بحسب الترتيب الزمني [١]، وشملت موضوعات متعددة فى السياسة والإقتصاد والأوضاع الإجتماعية والدينية. ([٢])

الكتاب الأول : وهو الدساتير **Constitutionibus** ويتناول القرارات والمراسيم الإمبراطورية، القواعد الأساسية لعلاقة الإمبراطور بالرعية، ويضم بعض القوانين الخاصة بالجهاز الإدارى مثل صلاحيات الإمبراطور والمستشارين، والوظائف العامة مثل وظيفة الوالى البريتورى، ووالى العاصمة، وقائد الجند، ورئيس الشرطة، القناصلة، وكونت الشرق، والوالى الأوغسطالى وعدة وظائف أخرى . ([٣])

الكتاب الثانى : الإجراءات القانونية **Judiciis** ويتحدث عن القوانين المتعلقة بالمحاكم والقضاء وتشمل القواعد التى تنظم سير الدعوى، والقوانين المتعلقة بالقضاء والأحكام، وحقوق الأفراد فى التقاضى مثل الأطراف المشاركة فى التقاضى، والتوقيت القانونى المحدد للتقاضى، وإعادة الاخطار بالقضية مرة أخرى، التعهدات والتسويات، والطلبات والتأجيلات، المحامين والوكلاء.

الكتاب الثالث : الجرائم **Criminibus** يشمل قوانين متعددة حول مختلف الجرائم، السرقة، الخيانة والعنف، والجرائم ضد الدولة والدين والعقوبات التى تفرض على المخالفين . ([٤])

([١]) سهام محمد عبد العظيم: صراع نساء البلاط البيزنطي في عهد الامبراطور ثيودسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠م) مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد ٧١، العدد ١٠١، ص٧.

نورمان بينز، الامبراطورية البيزنطية، ص٢٤٩-٢٥٠.

See :The Theodosian Code and Novels and Sirmandian Constitutions، Trans، Clyde Pharr، New York،1951، pp XVII-XXV.

Hermanowicz، E. T. Textual Adventures: A Brief History of the Theodosian Code، The Classical Outlook، Vol .79. n3، 2002، pp. 97-103.

([٢]) وللمزيد عن هذه المجموعة القانونية انظر : محمد زايد عبدالله، مصادر تاريخ العصور الوسطى، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥، ص ١٨٣-١٨٥.

The Theodosian Code and Novels،pp .11-476.

([3]) The Theodosian Code and Novels،pp .11-36.

([4]) The Theodosian Code and Novels،pp.37 -81.

الكتاب الرابع :الزواج **Nuptiis** ويتناول قوانين الزواج وحقوق وواجبات الزوجين، وشروط الطلاق، ويشمل أيضا قوانين الميراث والوصاية على الأبناء.

الكتاب الخامس : الوصايا والميراث **Testamentis** تناول قوانين الملكية والميراث وشروط نقل الملكية، وشمل أيضا عدة موضوعات حول كيفية الادارة الممتلكات العامة والخاصة، والفرق بين الممتلكات فى المدن والريف، ممتلكات القرويين والرهبان ورجال الدين والجنود، والملاك الحقيقيين للمزارع الموروثة، وغابات الأخشاب، المزارع والغابات المملوكة للإمبراطور، والعبيد الهاربين من الأراضى، وعبيد الإمبراطور . ([1])

الكتاب السادس : خزينة الدولة **Fisco** يركز على الشؤون المالية للدولة مثل الضرائب وطرق تحصيلها، والقوانين التى تنظم مصادر الدخل الحكومى، وتنظيم الموارد العامة وأحكام الديون .

الكتاب السابع : المدن **Civitatibus** يتحدث عن القوانين الخاصة بإدارة المدن والبنية التحتية، ويحدد أدوار الحكام المحليين، والقوانين التى تنظم شؤون البلديات.

الكتاب الثامن : بعنوان الشؤون العسكرية **Re Militari** يختص بالقوانين العسكرية يغطى هذا الكتاب القوانين العسكرية، مثل التجنيد وحقوق وواجبات الجنود، ويضم القوانين المتعلقة حماية حدود الإمبراطورية وأمنها الداخلى . ([2])

الكتاب التاسع : المناصب والألقاب الاجتماعية " **Honoribus** " يتناول القوانين التى تحدد الرتب الاجتماعية وتنظيم الطبقات الاجتماعية ودور كل منها فى المجتمع وحقوق هذه الطبقات .

الكتاب العاشر: الأوامر والمراسيم التجارية **Rescriptis** يركز هذا الكتاب على القضايا الاقتصادية وتنظيم الأسواق والتجارة، ويشتمل على قوانين تتعلق بأسعار السلعلا وحقوق التجار وحماية المستهلك. ([3])

الكتاب الحادى عشر: الأراضى **Agris** تحدث هذا الكتاب عن القوانين الخاصة بالأراضى والزراعة، وحقوق الملاك والمزارعين، وطرق زراعة الأراضى الخاصة والعامة.

([1]) The Theodosian Code and Novels،pp.82 -117.

([2]) The Theodosian Code and Novels،pp . 118-223.

([3]) Mousourakis،G. Alegal History of Rome، London and New York، 2007،P.181.

The Theodosian Code and Novels،pp.224-290.

الكتاب الثانى عشر: الضرائب **Impositionibus** يتناول الضرائب المقررة على الممتلكات خاصة العقارات، والضرائيب المفروضة على أصحاب الحرف والتجار، والاعفاءات الممنوحة لبعض الفئات . ([1])

الكتاب الثالث عشر: **الأجانب Extraneis** يغطى هذا الكتاب القوانين المتخصصة فى العلاقات مع الأجانب، مثل قوانين الهجرة والاقامة وحقوق الأجانب، ويضم قوانين منح الجنسية للأجانب ومنحهم الجنسية، وتنظيم العلاقات بين المواطنين والأجانب.([2])

الكتاب الرابع عشر: المهن والأعمال **التجارية Professionibus et Negotiis** يضم القوانين المتعلقة بمختلف الحرف والصناعات ويحدد واجبات وحقوق التجار والحرفيين .

الكتاب الخامس عشر :الأعياد والمناسبات الدينية **Festis et Sacris** تناول القوانين المتعلقة بتنظيم الأعياد الرسمية والمناسبات الدينية، وحقوق الأفراد فى المشاركة بها . ([3])

الكتاب السادس عشر: الإيمان الكاثوليكى **Fide Catholica** يتحدث هذا الكتاب عن القوانين المتعلقة بالعقيدة المسيحية والأساقفة والكنائس، الرهبان، الهرطقة الدينية، المرتدين، اليهود، الوثنيين، والذبائح والمعابد الوثنية، والكنائس والعلاقة بين الدولة والكنيسة ([4])

وبعد الانتهاء من هذه المجموعة القانونية تم إرسال نسخ منها إلى الغرب وتمت الموافقة عليها من قبل الإمبراطور فالنتينيان الثالث Valentinian III (٤١٩-٤٥٥م) ومجلس الشيوخ [5] ، ولهذه المجموعة أهمية كبيرة في التطور القانوني للإمبراطورية قبل ظهور مجموعة جستنيان، كما كان لها أثر واضح في وحدة الإمبراطورية في ذلك الوقت، ويرجع الفضل إليها في حفظ جانب من القوانين الرومانية التي أثرت في بعض

([1]) The Theodosian Code and Novels،pp .291-384.

([2]) The Theodosian Code and Novels،pp . 385-404.

([3]) The Theodosian Code and Novels،pp .405-439

([4]) The Theodosian Code and Novels،pp .440-476.

Dębiński،A. Church and Roman Law، English translation Konrad Szulga، Lublin 2010، pp.32-33.

([5]) Stien،P.Roman Law in European History، Cambridge،1999،p.29.

الجماعات الجرمانية بعد سقوط الإمبراطورية، فضلًا عن أن غزوات أولئك البرابرة لم تؤد إلى القضاء على أسس القانون الروماني في أجزاء كبيرة من أوروبا.[١]

ولكن يؤخذ على هذه المجموعة أنها لم تتضمن التشريعات الإمبراطورية السابقة قبل قسطنطين، وجزءًا كبيرًا من المواد القانونية التي أنتجها فقهاء القانون فى العصر الرومانى [٢]، كما أن قوانين المجموعة التي تمت صياغتها صيغت لكي تعكس أهمية المنصب الإمبراطوري أكثر من أن تكون مفهومة لأولئك الذين يتعين عليهم تطبيقها في الغرب، واعترفت بالعُرف كمصدر للقانون ، شريطة ألا يكون هناك تعارض مع العقل أو مع القوانين التي أصدرها الإمبراطور، وهنا يقصد العرف المحلي وليس العرف القديم لروما، ما يسمى**iorum mos ma** أي عادات الأجداد، لذلك كان لابد من استكمالها بالتفسيرات وشرح محتواها بلغة بسيطة [٣]، واتسمت أيضًا بالسطحية فى عرض القوانين ، ومن الممكن تعريف القانون الروماني الذي جمع بها بأنه القانون العُرفي المبتذل؛ وذلك بسبب اختفاء معظم القوانين الرومانية الأساسية التي أصدرها الأباطرة الرومان [٤] ، وهنا لابد أن نتوقف قليلًا ونشير إلى أهمية هذه المجموعة القانونية تاريخيًا لأنها حفظت لنا تاريخ هذه الحقبة الزمنية فى صورة قوانين.

وعلى الرغم من اختفاء التشريع القانوني العلمي المنظم تقريبًا عند مستهل العصور الوسطى ، بسبب تدهور أحوال الإمبراطورية الرومانية الغربية وسقوطها على أيدي القبائل الجرمانية ، وانتشار القوانين العُرفية لهذه القبائل فى مختلف أنحاء أوروبا

([1]) Bodenheimer، E. The Influence of Roman Law on Early Medieval Culture، Hastings Int'l & Comp. L. Rev. 3، 1979،p.18.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law، Psychology Press، 1993. p.138.

George، M. Roman Law، P.26.

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية، دار المعرفية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٣٩.

محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص٢٤٤.

([2])The Law of Salian Franks،p.29.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص ٤٠٢.

([3]) George، M. Roman Law، P.26.

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية، ص ٣٩.

محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص٢٤٤.

([4])Keresztes، P. Patristic and Historical Evidence for Constantine's Christianity، in Latomus، n 1. 1983، p. 89.

، إلا أن هؤلاء الجرمان سرعان ما تأثروا بمجموعة القوانين الرومانية التي جمعها ثيودسيوس الثاني ؛ الأمر الذي ساعد على بقاء بصيص من الحضارة الرومانية في غرب أوروبا خلال هذه الفترة المظلمة التي أعقبت سقوط الإمبراطورية ، هذا وإن كان من الثابت أن غزوات البرابرة في القرن الخامس لم تقتلع جذور القانون الروماني من غاليا وإيطاليا وإسبانيا [١].

٢- قوانين القبائل الجرمانية Germanic Tribes في الغرب الأوروبى :

شكلت القبائل الجرمانية جزءًا مهمًّا من الشعوب التي أحاطت بالإمبراطورية الرومانية، ولكنهم بدأوا في الهجوم عليها من منتصف القرن الثاني الميلادي، وكان لسقوط هذه الإمبراطورية عام ٤٧٦م على أيديهم أثر كبير في تغير الخريطة السياسية لأوروبا وحدوث انقلاب كبير في موازين القوى لهذه المنطقة [٢]، فعلى سبيل المثال أصبحت بلاد الغال ماعدا جزء من أراضيها تحت حكم الفرنجة [٣]، أما إسبانيا وجنوب

([1])Tellegen-Couperus، O. E . A short history of Roman law،p.139.

عفاف سيد صبره: صداق المرأة البيزنطية وحقوقها القانونية، ص ٢٥٠.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص٤٠٣.

([2]) Ferrero، Ida. European history of law: Evolution and fundamental features، Giappichelli editore، 2023، p.8.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law،pp.139 -140.

محمد زايد عبد الله، جوانب من حضارة أوربا في العصور الوسطى، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ط١، ٢٠١٦، ص ٢٢٥.

([3]) **الفرنجة** : شهدت بداية القرن الخامس الميلادي ظهور مملكة جرمانية جديدة فى بلاد الغال غرب أوروبا هى مملكة الفرنجة وكلمة فرنجي معناها الحر وعرف الفرنجة بهذا السم لعقدهم العزم على الاستقلال عن روما وإيجاد كيان سياسى خاص بهم، وألا تجذبهم تبعية إلى روما وامبراطوريتها، ويعد الملك كلوفس Cloves (٤٨١-٥١١م) المؤسس الحقيقى لهذه المملكة ، عن ذلك انظر : سعيد محمد طه محمد، مملكة الفرنجة فى عهدي كلوتير وابنه داجوبير الأول (٦١٤-٦٣٨م)، نور حوران، سوريا، ٢٠٢٠، ص ١٣.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص٤٠٣.

غالة "فرنسا" فخضعتا لحكم القوط الغربيين **Visigoth** [١]، وهناك أيضا إيطاليا التي أسس فيها القوط الشرقيين **Ostrogoths** دولتهم [٢]، أما إقليم برجنديا Burgandy في غالة فكان من نصيب البرجنديين **Burgundians** [٣]، وهؤلاء البرابرة لم يحاولوا فرض قوانينهم وعاداتهم على الرومان الذين يعيشون داخل الممالك التي أسسوها فظل هؤلاء الرومان يحتكمون إلى القانون الروماني الخاص بهم **Leges Romanae** [٤]،

---

(١) **القوط الغربيون:** هم أحد القبائل الجرمانية الأكثر خطرًا في التاريخ على أوروبا ، وينتمون إلى شبه جزيرة اسكندناوة موطنهم الأصلي ومنها عبروا بحر البلطيق واستقروا شمال البحر الأسود وضفاف نهر الدانوب، وبمرور الوقت نجحوا في تأسيس مملكة لهم في إسبانيا.

إبراهيم على طرخان، دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨، ص ٣٢.

جمال فاروق السيد الوكيل، معركة فوبيه بين الفرنجة والقوط الغربيين عام ٥٠٧م، بحث منشور بمجلة الدراسات الإنسانية والأدبية كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، العدد (٢٦) يناير ٢٠٢٢م، ص- ٩٥.

Jordanes، The Gothic History، Trans by، Christopher، Ch، Prinseton university press،1915، pp.52-56.

(٢) **القوط الشرقيين:** ينتمي القوط الشرقيين لفرع الجرمان الشرقيين، وفي منتصف القرن الرابع الميلادي نزلوا بالجهات الواقعة شمال البحر الأسود، ثم دخلوا أراضي الإمبراطورية، وفي عام ٤٩٣م نجح ثيودريك الكبير Theoderic I فى تأسيس مملكة لهم في إيطاليا بعد هزيمته لأدواكر.

محمود عبد الله مهدي عبد الحافظ، الزواج السياسي في أوروبا، ص ١٢٧-١٢٨.

See:Anonymus Valesianus، Excerpta Valesiana، recensuit Jacques Moreau،Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanoum، Teubneriana، Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow، leipxic، 1968،p.16.

(٣) **البرجنديون** : أحد الشعوب الجرمانية الشرقية هاجروا من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة اسكندناوة من جزيرة بورنهولم واستقروا بين نهري الأودر والفستولا في القرن الأول الميلادي، وفي حوالى سنة ١٥٠م نزحوا إلى سيليزيا Silesia وهي منطقة تقع في بولندا حاليًا، ثم اتجهوا ناحية الجنوب في نهاية القرن الثاني الميلادي ودخلوا وادي نهر الماين Main، ولكنهم نزحوا إلى حوض نهر الراين واستقروا به في نهاية القرن الثالث الميلادي، ومنذ ذلك الوقت بدأ اتصالهم بالامبراطورية الرومانية، وبدأوا فى تأسيس مملكة لهم منذ عام ٤١٣م، ونالوا شهره عظيمة ولكن تمت الإطاحة بهم في عام٤٣٦م من قبل قبائل الهون، ولم يتمكنوا من إقامة مملكة ثانية إلا في عام٤٤٣م على يد زعيمهم جونديوك Gundiok.

Moore، W،G.The Penguin Encyclopedia of Places، London،1971،p.134.

(٤) محمود المهدي، العلاقات السياسية بين الفرنجة والبرجنديين في بلاد الغال ٤٩٠-٥٣٤م، بحث منشور بدورية كان التاريخية، يونيو ٢٠١٩م، ص ٦٦.

أما هم فقد اعتمدوا على قوانينهم العرفية **Leges Barbarorum** [١] ، لذلك سادت في غرب أوروبا النظم والقوانين القبلية لهؤلاء الجرمان. [٢]

وكما قلنا فهى قوانين بدائية عُرفية ففى الزواج سمح لهم القانون بالزواج مرة واحدة فقط بعد نضج الإناث والذكور ؛ لكي يتحملوا مسؤولية بناء الأسرة ، ولكن بعض الأغنياء لم يلتزموا بهذا القانون وتزوجوا بأكثر من واحدة، كما ألزم القانون الرجل بدفع المهر للعروس قبل الزوج ويسمى " بالدوطة" بعكس الرومان فكانت الزوجة هي من تقدم المهر ، وكان عبارة عن عدد من الثيران وحصان مُلجم، وبعض الهدايا الحربية كالسيف والدرع والحربة، وكان يحضر هذا الحدث أهل العروسين والأقارب للموافقة علي الهدايا ، في حين أن العروس كانت تجلب إلي الزوج هدايا أيضاً متمثلة فى قطع من السلاح ، وبتبادل الهدايا يتم تحقيق الزواج في حضور آلهة الزواج والأسرة . [٣]

بالإضافة إلى أن القانون الجرماني منع انتشار الفجور والزنا داخل المجتمع وجرم عقوبته التي وصلت لحلق شعر الزوجة إذا ثبت عليها هذا الفعل ، ثم تجريدها من ملابسها أمام أقاربها، وضربها بالسياط في طرقات القرية، ولم يسمح القانون بالزواج إلا للعذارى؛ فلا تتزوج المرأة إلا مرة واحدة، وكان من العار على المرأة تحديد النسل أو قتل أولادهن [٤].

وهناك أيضا القوانين المتعلقة بالميراث ، فكان من حق أبناء المتوفى الذكور والإناث وراثة ممتلكاته ، وفي حالة عدم وجود أبناء للمتوفى يرثه إخوته ثم أعمامه ثم أخواله [٥]، ولم يكن نصيب الأبناء من الميراث أموالًا فقط، بل ورثوا أيضًا صداقاته وخصوماته ، ففي حالة وفاة الأب وترك خصومة أو قتل شخصًا كان على الولد

([1]) Mousourakis،G. Alegal History of Rome، P.182.

([2])Ferrero، Ida. European history of law، p.8.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law،pp.139 -140.

محمد زايد عبد الله، جوانب من حضارة أوربا في العصور الوسطى، ص ٢٢٥.

([٣]) ربيع عيد كريم، أوضاع الجرمان الاجتماعية والاقتصادية فى ضوء كتابات تاكيتوس، مجلة المؤرخ المصري، عدد (٥٨)، يناير ٢٠٢١م، ص ١٧-١٩.

([٤]) تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص ٦٤-٦٧.

([٥]) تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص ٦٤-٦٧.

معالجة هذه المشكلة ، فيقوم بتقديم الدية كتعويض لأهل القتيل، وجرت العادة أن تشترك الأسرة في جمع الدية، وكانت في الغالب عددًا محددًا من المواشي [١].

وبالحديث عن تنفيذ القوانين وتوقيع العقوبات لابد وأن نشير إلى الجهة المختصة بذلك، وهى جمعية المحاربين الأحرار صاحبة الحق في انتخاب الحكام وإعلان الحرب وعقد المعاهدات، وإقرار العقوبات المناسبة للجرائم ، وكان الملك أو رئيس القبيلة هو من يدعو لإنعقادها ، وعند انتخاب الملك كان على أعضاء هذه الجمعية اختياره من الطبقة الأرستقراطية ، ويمتلك مهارة كبيرة في فنون القتال، وجرت العادة أنه إذا عرض الملك اقتراحًا على الجمعية ولم يظفر بالقبول، عبَّرت الجمعية عن ذلك بالرفض والتذمر، وفي حالة الموافقة يضرب الأعضاء رماحهم بعضها ببعض كدليل على الموافقة. [٢]

كانت هذه القوانين شفهية وغير مكتوبة لذلك حرص عدد من الملوك الجرمان على تدوينها ، ويلاحظ أنهم تأثروا أثناء كتابتها بالقانون الروماني خاصة فيما يتعلق بقوانين الأحوال الشخصية ، وكتبت باللغة اللاتينية ، كما دونوا كتبًا أخرى تحتوي على نصوص القانون الرومانى نفسه للسكان الأصليين، ولهذه الكتب أهمية كبيرة؛ لأنها حفظت هذا القانون من الضياع . [٣]

ومن هؤلاء الملوك :

١- كلوفس ملك الفرنجة (٤٨١-٥١١م) :

اهتم كلوفس ملك الفرنجة (٤٨١-٥١١م) بالتشريع القانوني فأصدر كتاباً سمي بالقانون السالي **Lex Salica** تم تدوينه خلال الفترة الممتدة بين عامي ٥٠٧ و٥١١م[٤]، وهو من أهم الوثائق القانونية فى تاريخ أوروبا في عصرها الباكر، ومن أكثر القوانين تأثرا بالقانون الروماني خاصة المجموعة القانونية للإمبراطور ثيودسيوس الثاني، وبدأ هذا الكتاب بعرض بالقوانين الملكية خاصة مايتعلق بإجراءات حضور البلاط الملكى

---

(١) ربيع عيد كريم، أوضاع الجرمان الاجتماعية والاقتصادية ، ص ٢١.

(٢) تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص ٥٣-٥٨، ص ٩٠-٩٤.

(3) George، M. Roman Law، P.29.

Ferrero، Ida. European history of law ،pp.8-9.

(٤) مملكة الفرنجة : تعد من أهم الممالك الجرمانية فى الغرب وأولها فى تدوين القوانين الجرمانية القبلية لأنها كانت موجودة فى شكل غير مكتوب.

The Law of Salian Franks، Translated and Introduction by، Drew، K.F،university of Pennsylvania، Philadelphia،1991،P.8.

Mallus والغرامات التى تفرض على من يتخلف عن الحضور ، النظام القضائي الفرنجي، ثم عقوبة السرقة بكل أنواعها للأحرار والعبيد (سرقة الحيوانات كالخنازير و الثيران، والخراف والماعز، كلاب الصيد، الطيور، وكذلك الأطفال، والسفن)، كما اشتمل على قوانين العبيد وجرائم العنف ، الميراث والزواج والطلاق ، كما تضمن أيضا بعض القواعد التى تنظم المعاملات اليومية بين أفراد المجتمع . (١)

٢-**الملك آلاريك الثاني Alaric II (٤٨٤-٥٠٧م) :**

يعد آلاريك الثاني (٤٨٤-٥٠٧م) من أهم وأبرز ملوك القوط الغربيين وأكثرهم حرصًا على سن القوانين التى تنظم شئون الحياة فى مملكته ، ففى عام٥٠٦ م أصدر كتاب القانون الرومانى للقوط الغربيين**The Lex Romana Visigothorum** (٢)، يحتوي هذا الكتاب على مقتطفات من مجموعة ثيودوسيوس القانونية والقوانين السابقة لها ، وكان مخصصًا للرعايا الرومان داخل المملكه ، ومع الوقت تم تطبيقه على القوط الغربيين أيضًا؛ لأن عددهم كان أقل بكثير من الرومان (٣)، وركز فى هذا الكتاب على القوانين المتعلقة بالجرائم وبخاصة مقدار الأموال التي تدفع للضحية أو لأسرته في حالة القتل أو السرقة ، وإلحاق الضرر بالممتلكات الخاصة أو تعمد الإصابة الشخصية، وارتكاب الجرائم الجنسية (٤)، ثم أصدر آلاريك عملا قانونيا آخر

---

(1) Lex Salica، pp.1-20.

The Law of Salian Franks، P.5.

(٢) **ألاريك الثانى** : ولد فى عام ٤٦٦م في مدينة تولوز عاصمة القوط الغربيين، تولى العرش بعد وفاة والده يوريك فى ١٢ ديسمبر من عام ٤٨٤م، ووفقًا للتقاليد القوطية عند موت الملك يجتمع زعماء الشعب ليختاروا أحق أفراد العائلة الملكية بالعرش وهو أفضل المحاربين بينهم ، فوقع اختيارهم على آلاريك وكان فى الثامنة عشر من عمره آنذاك ، ورث عن أبيه مملكة مستقلة مترامية الأطراف من المحيط الأطلسى غربا حتى جبال الألب شرقا ومن نهر اللوار شمالا ومعظم شبه الجزيرة الآيبيرية جنوبا . إبراهيم على طرخان، دولة القوط الغربيين، ص ٩٧.

(3) Mather، H. The Medieval Revival of Roman Law Implications for Contemporary Legal Education، The Catholic Lawyer، Number 4 Volume 41، Spring 2002، p.325.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law،pp.139-140.

George، M. Roman Law، P.29.

Mousourakis،G. Alegal History of Rome،P.182.

(4) Stien، P. Roman Law in European History، 40.

سُمى بالقوانين المختصرة لآلريك Breviarium Alaricianum ، وفي عهد الملكين شنتازوينت Chintaswint (٦٤٢-٦٥٢م) وريكيزوينت Receswint (٦٥٣-٦٧٢م) تم تشريع بعض القوانين كتبت باللغة اللاتينية وأضيفت لمجموعة آلاريك القانونية وسميت " بمجموعة القوانين القوطية " ، حفظت لنا هذا المجموعة أجزءًا من القانون الروماني مع القوانين العُرفية للقوط الغربيين . (١)

كما ضمت بين صفحاتها عدداً من القوانين المتعلقة بالمشرع القانوني، ومايجب عليه القيام به حتى فى حياته اليومية وأسلوبه فى التعامل وطريقة كلامه ، وتناولت أيضًا التقاضي وكيف يكون التقاضي بالمحكمة ، والقوانين الخاصة بالمتهمين والمحاميين ، الشهود والأدلة ، والوثائق الصحيحة والباطلة . (٢)

الملك جندوباد Gundobad (٤٧٤-٥١٧م) :

اهتم الملك البرجندي جندوباد(٤٧٤-٥١٧م) (٣) ، بتدوين القانون البرجندي فأصدر كتابًا قانونيًّا سُمِّي بقوانين الملك جندوباد**lex Jundobad** جمع فيه قوانين الرومان والبرجنديين (٤)، وكان لهذه القوانين تأثير كبير حتى بعد الغزو الفرنجي لإقليم برجنديا،

---

(1)The Visigothic code (Forum Judicum)، ed.Schott, S.P,Philadelphia، 1908، pp.xxiii-xxv.

Mather،H. The Medieval Revival of Roman Law، p.325.

Tellegen-Couperus، O.E. A short history of Roman law.pp،139-140.

George، M. Roman Law، P.29.

Mousourakis،G. Alegal History of Rom e،P.183.

(2)The Visigothic code (Forum Judicum),pp. xxiii-xxv.

(٣) **جندوباد** : ابن الملك البرجندي جندويك Gondioc، لعب دورًا كبيراً فى الأحداث السياسية فى الغرب الرومانى، شارك خاله ريكيمير فى خلع الامبراطور الرومانى أنثيميوس Anthemius (٤٦٧-٤٧٢م) وقتله فى عام ٤٧٢م، وبعد وفاة خاله عين فى منصب القائد العام للقوات الرومانية، ثم عينه الامبراطور الغربي أوليبريوس olybrius (٤٧٢م) حاكما رومانيا ومنحه لقب بطريك ، ثم أصبح جندوباد ملكا على البرجنديين بعد وفاة والده فى عام ٤٧٤م . انظر محمود مهدى، الزواج السياسى، ص ١١٦.

(4) Mather، H. The Medieval Revival of Roman Law، p.325.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law،pp.139-140.

George، M. Roman Law، P.29.

Mousourakis،G. Alegal History of Rom e،P.183.

وظلت سارية المفعول بين البرجنديين حتى وقت متأخر من القرن التاسع الميلادي [١].

ولابد وأن نوضح هنا أمرًا مهمًّا وهو أن إقليم برجنديا كان جزءًا من بلاد الغال الخاضعة للإمبراطورية الرومانية ؛ وعليه فقد كان القانون الروماني هو القانون المعمول به هناك حتى مجيء البرجنديين واستقرارهم فيه في القرن الخامس الميلادي، ومع اندماج الرومان مع البرجنديين، أصبحت هناك حاجة ماسة إلى قوانين جديدة تحكم العلاقات التجارية والاجتماعية بين الشعبين، لذلك قام الملك جندوباد بتجميع هذه القوانين للطرفين في كتاب تعددت أسماؤه، منها **lex Jundobadioum**، **liber legum Jundobadi**، وتمت إضافة جزء لهذا الكتاب عرف باسم **The Lex Romana Burgundionum** كملحق يحتوى على القوانين الجنائية والإجرائية، وهذا الملحق بمثابة تعليمات إضافية للقضاة فى المحاكم وللمشرعين ، وقسم هذا الكتاب إلى ١٠٥ بندا تحدث فيها عن الزواج والطلاق، وقضايا الميراث، وحيازة الأراضي والممتلكات، الجرائم كالقتل والسرقة والزنا، وأعمال العنف كالضرب، والزراعة والرعي. [٢]

الملك روثاري Rothari (٦٣٦-٦٥٢م) :

يرجع الفضل للملك روثاري (٣٣٦-٦٥٢م) في إصدار أول مجموعة قانونية عرفية خاصة بالشعب اللمباردى فى الثانى والعشرون من نوفمبر عام ٦٤٣م وسميت بمرسوم روثاري Edictum Rothari ، واحتوت على ٣٨٤ قانون تم جمعها فى مجلد واحد لضمان تطبيق القانون وتحقيق العدالة ، تناولت هذه المجموعة القوانين المتعلقة بالجرائم المرتكبة ضد الملك ، الخيانة العظمى للملكة سواء اللجوء للأعداء أو إخفاء الجواسيس ، والتسلسل الهرمي لنظام الحكم في مملكته ، وطبقات المجتمع ، الزواج ، الطلاق ، والقتل والخطف والإغتصاب، كما تناولت السرقة والتزوير ، وقوانين تحرير العبيد ، ثم قوانين الزراعة ، وبعد وفاته استمر الملوك اللمبارديون في تنقيح قوانينهم

([1])The Burgundian code، Book of Constitutions or Law of Gundobad Additional Enactments،Trans by. Katherine Fischer Drew، K. F. Philadelphia University of Pennsylvania، press،1949، pp.2-6.

([٢]) هناء محمود شمس، المرأة البرجندية في ضوء قوانين الملك جندوباد (٤٧٤-٥١٦م)، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، المجلد رقم (٣٣)، عدد (٦٣) أبريل ٢٠٢٤م، ص ٤٥٨.

The Burgundian code ،pp.2-6،8.

العرفية والإضافة عليها، وكان من أبرزهم جريموالد Grimuald (٦٦٢-٦٧١م) ، الذي أضاف إلى مجموعة روثاري بعضًا من القوانين التى تتعلق بالأحرار والعبيد وبخاصة التى تركز على الغرامات التى يدفعها العبيد في حالة ارتكاب مخالفة ، والميراث وأضاف قوانين تتعلق بتعاقب الأولاد والأحفاد، وقوانين تتعلق بهجر الأزواج لزوجاتهم ، والمخالفات التى ترتكبها الزوجات مثل الخيانة الزوجية . (١)

وتبعه أيضا الملك اللمباردي ليوتبراند Liutprand (٧١٢-٧٤٤م) وتميزت إضافاته بأن المرأة اللمباردية كان لها نصيب وافر منها ، وهناك أيضًا تشريعات الملك استولف Aistolf (٧٤٩-٧٥٦م) الذي سن تسعة قوانين خاصة بالمحاربين والحدود ، والتجار فى البر والبحر ، وقوانين الزواج غير الشرعي ، وتحدث أيضا عن السرقة وبعض القوانين التى تخص القضاة ، وكان آخر هؤلاء الملوك الذين أضافوا لقانون روثاري الملك دزيدريوس Desiderius (٧٥٦-٧٧٤م). (٢)

وبعد استعراضنا للجهود التى بذلها الملوك الجرمان فى مجال التشريع القانونى، اتضح لنا أن هؤلاء الملوك كانوا شديدي الحرص على بناء مجتمعات جديدة يحكمها القانون ويسودها الأمن والاستقرار، بعد معاناتهم الشديدة بسبب كثرة الحروب والترحال من مكان إلى آخر بحثًا عن مآوى آمن ليعيشوا فيه ، كما حاولوا التأثر بالسكان الأصليين " الرومان " أصحاب الحضارة العريقة فى كل نواحي الحياة ، وحفظت تشريعاتهم جزءًا كبيرًا من القانون الروماني وذلك بسبب احتكاكهم بالرومان .

ومع نهاية القرن السابع وحتى بداية القرن الحادي عشر الميلادي ، تعرض غرب أوروبا لعدة مخاطر كان من أبرزها كما ذكرنا سابقًا الفتوحات الإسلامية التى وصلت لقلب المدن الأوروبية ، وغزوات قبائل الفايكنج وظهور النظام الإقطاعى ، مما أدي إلى اضطراب الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى الغرب

---

(١) محمد زايد عبد الله، جوانب من حضارة أوروبا، ص ٢٢٩-٢٣١.

See:The Lombards Laws,Trans,by.Drew,K.F.Sourses of Medieval History, ed.Peters,E., university of Pennsylvania ,1996,pp.39-130.

(٢) محمد زايد عبد الله، جوانب من حضارة أوروبا، ص ٢٢٩-٢٣١.

Walter، R. Themes in A History of the University in Europe، vol. 1، Universities in the MiddleAges، ed. Hilde de Ridder-Symoens (Cambridge،1992)،P.5. Kantorowicz،H.Studies in the Glossators، p.33-65.

الأوروبي ، فتوقف الإنتاج العلمي والقانوني إلى أن حدثت الصحوة مرة أخري وتم إحياء القانون الروماني وظهور القانون الكنسي من نهاية القرن الحادي عشر وحتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ، وقبل الحديث عن ذلك لابد وأن نستعرض تشريعات الأباطرة البيزنطيين لأنها هى المصادر التى سيتم دراستها وإحيائها فى الغرب مرة أخرى .

٣-التشريعات القانونية للأباطرة البيزنطيين وأهميتها التاريخية :

أولاً- التشريعات القانونية للإمبراطور جستنيان الأول :

لم يكن جستينيان أول شخصية في التاريخ الروماني تحاول جمع قانون الإمبراطورية في مجموعة واحدة، فسبقه كما ذكرنا الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م)، وثيودسيوس الأول(٣٤٧-٣٩٥م) وحفيده ثيودسيسوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠م) صاحب مجموعة ثيودسيوس القانونية التي تحدثنا عنها سابقًا ، وأوضحنا أن الهدف من إصدارها كان جمع أجزاًء كبيرة من القانون الروماني في مجموعة واحدة ، ولكن ليس إلى الحد الذي تصوره جستنيان، كما ركزت المجموعة السابقة على القوانين المُلزمة التي أصدرها الأباطرة والتي تسمى الدساتير، ولكنها تجاهلت مصدراً مهماً آخر للقانون الروماني هو الكتابات القانونية الموثقة من قبل الفقهاء الرومان الذين قاموا بتفسير القانون الروماني. (١)

وبحلول القرن السادس الميلادي كانت المحاكم تعتمد على كل من المصدرين تشريعات الأباطرة، بالإضافة إلى كتابات الفقهاء والمشرعين من رجال القانون الرومان، وبرغم ما قام به ثيودسيوس من محاولة جمع وتبويب المجموعة الإمبراطورية؛ إلا أنها ظلت حتى ذلك الوقت مفككة ينقصها الانسجام والتنظيم ، أما كتابات الفقهاء فقد أوشكت على الاندثار؛ نتيجة إهمالها وصعوبة الرجوع إليها في مكان واحد؛ وأصبح بعضها بعيد المنال لا سبيل إلى الوصول إليه، والبعض الآخر مهجورًا ، ومن ثم كثر ظهور التضارب والتناقض بين القوانين ، ولم يعد رجال القانون يشعرون بالاطمئنان إلى هذه القوانين(٢).

---

(1) Dingledy، F.W. "The corpus juris civilis a guide to its history and use، Library Staff Publications، 2016، p.2.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص ٤٠٤.
محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص٢٤٤.

وفي عام ٥٢٧م،اعتلى العرش الإمبراطوري رجل ارتبط اسمه إلى الأبد بالقانون الروماني[١]، هو الإمبراطور جستنيان الأول [٢] امبراطور الدولة الشرقية (٥٢٧-٥٦٥م) [٣]، الذي رأى أن الغموض والتناقض بدأ يتسرب إلى كيان القانون الروماني، وأخذت القضايا تؤجل إلى ما لا نهاية أمام المحاكم، كما كانت الأحكام لا تعتمد على مواد قانونية ثابتة قدر اعتمادها على أهواء القضاة التعسفية .[٤]

فبعد اعتلائه للعرش أصبح لديه ثلاثة طموحات:

١- تضمنت خطة جستنيان السياسية استعادة شبه الجزيرة الإيطالية من القبائل الجرمانية التي اجتاحتها، وبالتالي إعادة توحيد الإمبراطورية التي كانت قد انقسمت قبل عدة قرون ثم انهارت في الغرب، ونجح بالفعل في السيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية بحلول عام ٥٤٠ م ، وذلك بفضل العبقرية العسكرية للقائد بليزاريوس[٥]،

([1])Stien، P.Roman Law in European History،،p.32.

([2])Procopius of Caesarea، vol، I، P.101.

Bodenheimer، E. The Influence of Roman Law on Early Medieval Culture، p .18.

McSweeney، T. J. & Spike، M. K. The Significance of the Corpus Juris Civilis Matilda of Canossa and the Revival of Roman Law، College of William & Mary Law School،2015، p.21.

([٣]) عفاف سيد صبره: صداق المرأة البيزنطية، ص ١٧.

نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس، ومحمود يوسف، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٢٥٠.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص٤٠٣.

([٤]) نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٥٠.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص٤٠٣.

([٥]) **بليزاريوس** : ولد فى جرمانيا على حدود الليريا عام ٥٠٥م، واشتهر بفضل مهاراته العسكرية وخاصة فى استخدام الرمح فعينه جستنيان عام ٥٢٦م قائدا للجيش المتوجه لأرمينيا، ثم حاكماً لمدينة دارا الفارسية، وقَّد قام بتعين المؤرخ بروكوبيوس مستشارا له، ثم عينه جستنيان قائداً لقوات الشرق . انظر: عفاف صبره، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٢.

Hodgkin، T. Italy and her Invaders، Voll.III، Oxfod، 1885، pp.575-680،and Chinese Legal Traditions." Mediterranean Studies، vol. 21،2013 ،pp.94-95.

وهو من الرجال المخلصين لجستنيان، ومع ذلك لم يدم هذا الإنجاز طويلًا ومات مع جستنيان حلم إعادة توحيد الإمبراطورية إلى حد كبير [١].

٢- كما أراد القضاء علي المذاهب الدينية المختلفة وإيجاد مذهب ديني موحد لكل المسيحيين ، ولكنه لم ينجح في تحقيق هذا الهدف ؛ لأنه لم يكن قادرًا على حل الطوائف الدينية وبخاصة طائفة المونوفيزتيين **Monophsitism** [٢]، وأحد أسباب فشله أن زوجته ثيودورا **Theodora** كانت عضواً في هذه الطائفة ودافعت عنها بقوة[٣].

([1])Ferrero، Ida. European history of law، P.14.

See: Head، John W. "Justinian's Corpus Juris Civilis in Comparative Perspective: Illuminating Key Differences between the Civil، Common، and Chinese Legal Traditions." Mediterranean Studies، vol. 21،2013 ،pp.94-95.

([٢]) **المونوفيزتيين** : هم أصحاب الرأى القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة وهى الطبيعة الإلهية وكانت تدين به كنيسة الإسكندرية ، كما كانوا على خلاف مع الملكانيين الذين يؤمنون بأن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية وهذا ما أيدته كنيسة القسطنطينية ، وللمزيد عن هذا المذهب انظر : محمود محمد الحويرى، مصر فى العصور الوسطى من العصر المسيحى حتى الفتح العثمانى، ط٢، مصر، ٢٠٠٢، ص ٥١-٥٧.

([٣]) **ثيودورا** : ولدت ثيودورا فى عام ٥٠٠م لأبوين فقيرين ، فكان أبوها أكاسيوس يعمل حارسا للدببة فى الهبدروم Heppodrome "مسرح السيرك" بالقسطنطينية، وكانت والدتها تقوم بمساعدة زوجها فى وظيفته ، وبعد وفاة والدها واجهت صعوبات كثيرة فى الحياة وعملت بالمسرح ولم تتعلم إلا بعد ارتباطها بجستنيان، وتمتعت بملامح جميلة وشخصية قوية واتصفت بالحزم والثبات والجرأة، ومن المرجح أنها تزوجت من جستنيان عام ٥٢٥م، وتم تتويجها إمبراطورة فى عام ٥٢٧م. =

=Zonorae، Ioannis Zonarae Epitomae Historiaum LibriXVIIIex Recensione Maurici pinder TomusIII، Bonnae،1897،pp.150-151.

بروكوبيوس، التاريخ السرى، ترجمة عادل زيتون،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، دمشق،٢٠٠٣، ص٨٤،٩١، نقلا عن : نعمات عبدالمبدى على محمد، ثيودورا إمبراطورة الدولة البيزنطية، نور حوران، دمشق، سوريا، ٢٠٢٠، ص ٤٠-٦٣.

٣- وكان من أهم طموحاته وأحلامه إصدار تشريع قانوني موحد يستطيع من خلاله إدارة الإمبراطورية وتنظيم شئوون الحكم بها، والمعاملات المدنية والدينية والعسكرية ، ويعتمد هذا التشريع على القانون الروماني وكتابات فقهاء القانون الروماني القدامى.[١]

وكان من أول أعماله بعد توليه العرش الإمبراطوري إصدار مرسوم لمناقشة مجلس الشيوخ في خطته التشريعية التي تهدف إلى إصدار قوانين جديدة ، وحذف القوانين المتناقضة والمهجورة ، والمقدمات الزائدة ، ويرجع إليه الفضل في أنه وفق في جمع القوانين القديمة وتدوينها وحفظها من الضياع .[٢]

المجموعات القانونية التي صدرت فى عصر جستنيان :

١- مجموعة جستنيان القانونية Cedex Justiniacus :

كان جستنيان محظوظًا بوجود وزير لامع وهو تريبونيان **Tribonian** [٣] ، الذى تولى وظيفة وزير العدل ورئيس الهيئة الاستشارية للإمبراطور منذ عام ٥٣٠م ، فعيَّنه على رأس لجنة من رجال القانون مهمتهم جمع وتدوين كل القوانين التي أصدرها الأباطرة الرومان من القدم إلى عصره، ومحاولة التوفيق والجمع بين آراء الفقهاء الرومان في المسائل القانونية المختلف فيها، وإصدار كتاب قانوني منظم يقدم بشكل

([1]) George، M. Roman Law، P.26.

محمد فتحى الشاعر ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية ، ص٩٢.

Stien، P.Roman Law in European History،P.33.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law،p- 140.

(٢) جوستنيان، مدونة جوسنيان في الفقه الروماني " Institutes De Justinien "، ترجمة/ عبدالعزيز فهمي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م، ص٢.

محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٩ص.٩٢.

(٣) **تريبونيان** من أبناء منطقة بامفيليا pamphilia على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، وكان من أبرز رجال القانون ورأى فيه جستنيان رجله المنشود، وكان لا يتعب من الفخر بعلمه الغزير ومن تحمسه الشديد له، فإلى جانب كونه قانونيًّا كان رجل دولة، وفيلسوفًا، وخطيبًا، ومحاميًا، وعالمًا في الفلك، إلى جانب تحليه بدماثة الخلق والبراعة في الاطراء. انظر: محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية، ص ٩١، نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٥١.

واضح ومنهجي مبادئ القانون للطلاب؛ لأنه لم يكن هناك رؤية قانونية واضحة لبناء أنظمة قانونية كاملة من الألف إلى الياء [١].

امتلك تريبونيان المعرفة والحماس اللازمين لإتمام هذا العمل ، وتكونت اللجنة من عشرة أعضاء، سبعة منهم من كبار المسؤولين، ومحاميان ، وأستاذ في كلية الحقوق في القسطنطينية ويدعى ثيوفيل **Theophil** ، منحت هذه اللجنة صلاحيات واسعة جدًا، فيمكنها حذف العناصر القديمة أو غير الضرورية من النصوص، وإزالة التناقضات والتكرار، ودمج النصوص أو تغييرها، أو الإضافة عليها ، وكان يُطلق على أعضاء هذه اللجنة اسم "الجامعون" **The Compilers of Law** ، واتفق أعضاء اللجنة على تقسيم الدساتير حسب الموضوعات وترتيبها ترتيبًا زمنيًا مع وضع عناوين مناسبة للموضوعات.[٢]

أتمَّت هذه اللجنة عملها في أقل من عامين ، وأصدرت المجموعة القانونية لجستنيان **(Cedex Justiniacus)** ، في السابع من أبريل عام ٥٢٩م في مجلد واحد مؤلف من عشرة كتب منذ عهد هادريان وحتى عصر جستنيان ، وكانت مزيجًا من التشريعات القانونية للأباطرة ، وكتابات الفقهاء الرومان فى القانون ، واشتملت على أكثر من أربعة آلاف وستمائة وخمسين مرسومًا أو تشريعًا امبراطوريًّا، واعتبارًا من السادس عشر من أبريل من ذلك العام اكتسبت هذه المجموعة قوة القانون وظل العمل بها حتى عام ٥٣٤ م.[٣]

([1]) George، M. Roman Law P.26.

([2]) McSweeney، T. J. & Spike، M.K، " The Significance of the Corpus "،p.21.

George، M. Roman Law، P.27.

([٣]) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج٢، ص ٤٠٤

موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٩٢.

George، M. Roman Law، P.27-28.

Bodenheimer، E. The Influence of Roman،p.18.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law، pp140-141.

Mather، H. The Medieval Revival of Roman Law، p.327.

Stien، P. Roman Law in European History، P.34.

٢- **الموجز Digesta :**

بعد نجاح اللجنة فى تأدية مهمتها بنجاح كلف جستنيان مستشاره بإنجاز عمل آخر ، وأمده بعدد من الأعضاء أكثر من أعضاء اللجنة التشريعية الأولى ، وعهد إليها بمهمة أصعب وهي مراجعة كل مؤلفات الفقهاء الرومان القدامى، واستخلاص النصوص الصحيحة منها، واستبعاد النصوص القانونية غير المقبولة ، وحذف كل القوانين المتناقضة ، ثم تقوم اللجنة بترتيب القوانين التي تم جمعها وفقاً لنظام محدد ، وبالفعل أنجزت هذه اللجنة مهمتها ونجحت فى تخليص القانون القديم من الشوائب ، وأصدرت مجموعة قانونية جديدة سميت الموجز **(Digesta)** في السادس عشر من ديسمبر عام ٥٣٣ م ، وتقع في خمسين كتابًا يقسم كل منها إلى فقرات، على رأس كل فقرة بيان باسم الفقيه الذي أخذت عنه وعنوان الكتاب وموضوعه، وبذلك حافظت هذه المجموعة على أسلوب كبار الفقهاء أمثال بولس **Paul** والبيان **Ulpian** وغيرهما من الفقهاء.[١]

ولابد أن نشير هنا إلى أن جستنيان أعرب عن سعادته البالغة بصدور هذه المجموعة القانونية الجديدة ، واعتبر عام ٥٣٣م من أسعد سنين حكمه بسبب صدور هذه المجموعة وانتهاء الحرب مع الفرس ، وعودت كل أقاليم ليبيا إلى أحضان الإمبراطورية مرة أخرى. [٢]

٣- **الشرائع Institutions :**

كان من سلبيات الموجز أنها احتوت على عدد ضخم من القوانين يصعب على الشباب المبتدئين في دراسة القانون والحريصيين على أن يدرسوا أسراره أن يلموا بكل محتوياتها هي ومجموعة جستنيان القانونية ، لذلك أمر جستنيان بإعداد ملخص في القانون المدني صدر في نوفمبر عام ٥٣٣م عرف باسم الشرائع **(Institutions)** ،

([1])Lord Mackenzie، Studies in Roma Law، London، 1876، pp.28-29، Roly، H.، Roman Law in C.M.H. (ed) Bury، Vol .11 ،p.59.

McSweeney، T. J. & Spike، M. K. The Significance of the Corpus ، p.21.

Mather،H. The Medieval Revival of Roman Law،p.327.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law، pp140-141.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص ٤٠٥، نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية، ص.٢٥٢

([٢]) محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية، ص ٩٥.

لتزويد طلاب الدراسات القانونية بالقواعد التي تمهد لهم التعمق في الدراسات العليا[١]، تم تقسيمها إلى أربعة كتب وينقسم كل كتاب إلى عدد من الأجزاء، يضم كل جزء منها عددًا من الدساتير الإمبراطورية، ويحمل كل دستور اسم امبراطور بداية من عهد تراجان (١١٧-١٣٨م) حتى عهد جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)، وتناول الكتاب الأول أنواع القانون كالقانون الطبيعي والقانون المدني وقانون الشعوب ، والأحكام المتعلقة بالأشخاص "الأحرار والأرقاء، العتق وموانعه، وتحدث عن ولاية الأب "حق الولاية، الزواج، التبني، الوصاية، الكفالة، أما الكتاب الثاني فضم عدداً من القوانين عن حقوق الملكية والميراث من خلال الوصية، وشمل الكتاب الثالث الميراث بدون وصية، وأخيرًا الكتاب الرابع تحدث فيه عن الجرائم والعقوبات، كالسرقة والتعدي على الممتلكات ، والقتل والإهانة الشخصية ، وعددًا من القضايا الأخرى. [٢]

٤- المتجددات Novellae :

استمر جستنيان في إصدار كثير من التشريعات والأوامر الإمبراطورية بين حين وآخر، وعرفت هذه التشريعات القانونية المستحدثة بالمتجددات أو القوانين الجديدة **Novellae Constitiones** ، صدرت خلال الفترة ٤٣٤-٤٦٥م ، وتغطى موضوعات متعدده مثل القوانين المتعلقة بتنظيم الكنيسة ، والقوانين الخاصة بحكام الأقاليم ، والضرائب ، والزواج والطلاق . [٣]

([1])Lord Mackenzie، Studies in Roma Law، pp.28-29

McSweeney، T. J. & Spike، M. K. The Significance of the Corpus ، p.21.

Mather،H. The Medieval Revival of Roman Law،p.327.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law، pp140-141.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص ٤٠٥، نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية، ص.٢٥٢

([٢]) للمزيد انظر: جوستنيان، مدونة جوستنيان ف الفقه الروماني، ص١-٣٣٢.

([٣]) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى،، ج٢، ص ٤٠٤

موس، ميلاد العصور الوسطى، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٩٢.

George، M. Roman Law،pp.27-28.

Bodenheimer، E. The Influence of Roman Law on Early Medieval Culture، p .18.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law، pp140-141.

([3]) Mather، H. The Medieval Revival of Roman Law، p.327.

Stien، P. Roman Law in European History، P.34.

٥- مجموعة القانون المدني Corpus Juris Civilis :

ومن المجموعات القانونية السابقة لجستنيان نتج ما عرف باسم "مجموعة القانون المدني " **Corpus Juris Civilis** "، التى شكلت الأساس لجميع القوانين والنظم فى الإمبراطورية البيزنطية، وهي عبارة عن مجموعة ضخمة من المواد القانونية الرومانية القديمة، مرتبة ومعدلة إلى حد ما من قبل مجموعة من أساتذة ومحامين بيزنطيين عيَّنهم الإمبراطور جستنيان، بدأ العمل فيها عام ٥٢٨ م واكتمل إلى حد كبير بحلول عام ٥٣٤ م، وهي صورة للقانون الروماني تُرى من خلال عدسة يونانية بعد سنوات عديدة من زوال الإمبراطورية الرومانية الغربية، وقد جعلت قوانين جستنيان السلطة المطلقة في إصدار القوانين وتنفيذها رهنًا لمشيئة الإمبراطور والقوانين الملكية.(١)

وتكمن عظمة هذا العمل في حفظه لتراث روما وعبقرية فقهائها في مجال التشريع ونقله إلى الأجيال التالية، كما تظهر إرادة الإمبراطور جستنيان فى توحيد النظام القانوني وتحقيق العدالة فى كل أنحاء الإمبراطورية، فضلًا عن إبراز ما كان للمسيحية كدين سماوي من آثار تهذيبية في القانون الروماني زمن جستنيان، بالإضافة إلى أن هذه المجموعة غدت بعد ذلك أساسًا للتطور القانوني في غرب أوروبا ، حيث استمد منها بعض ملوك غرب أوروبا نظرية الحق المطلق في الحكم أو مبادئ الحكم الاستبدادي للامبراطور، نظراً لما خلفه القياصرة فيها من سجل حافل فى هذه الموضوعات، كما اقتفت الكنيسة أثر هذه المجموعة القانونية عند إصدار مجموعة القانون الكنسي التي عرفت باسمCorpus Juris Canonici ، فضلًا عن أنه تجلت فيها السمات الإنسانية لاعترافها بحقوق الفرد وما تفرضه من قيود على السلطة الأبوية. (٢)

---

(1)Jusinian I، Corpus Juis Civilis، Edited by، paul Kuger، Weidmannos، Berlin، 1906، p.509.

Lord Mackenzie، Studies in Roma Law، pp.28-29.

جستنيان، مدونة جستنيان في الفقه الروماني، ص ٣.

(2) Mather،H. The Medieval Revival of Roman Law، p.327.

Tellegen-Couperus، O. E. A short history of Roman law، pp144-145.

Lord Mackenzie، Studies in Roma Law، pp.28-29.

Bodenheimer، E. The Influence of Roman Law on Early Medieval Culture، p .19

محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص ٢٤٨.

وتعتبر النهضة التشريعية التي حدثت فى عهد جستنيان خير دليل على الجهد العظيم الذي بذله هذا الرجل لتحقيق الأمن والاستقرار داخل الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي ، بالإضافة إلى أنها أصبحت المصدر الرئيسي للأباطرة اللاحقين له فى إعداد قوانينهم ، واعتمد عليه الغرب الأوروبي في دراسة وإحياء القانون الروماني في القرن الثاني عشر الميلادي ، ويستحق جستنيان وبجدارة تخليد اسمه بين العظماء بسبب هذه الثورة والنهضة القانونية التي قدمها للإنسانية .

ثانياً- <u>التشريعات القانونية فى عصر الأسرة الأيسورية:</u>

شهد عصر الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري **Leo III** (٧١٧م -٧٤١م) [١] وابنه قسطنطين الخامس **Constantine V** (٧٤١-٧٧٥م) نهضة تشريعية تمثلت فى تدوين وتنقيح القوانين الرومانية ، صدرت بإسم الإيكلوجا **Ecloga** وتعنى المختارات " وتشير إلى مجموعة من القوانين المختاره " كُتِب باللغة اللاتينية [٢]، وتم فيها تعديل قوانين جستنيان لتناسب أوضاع هذا العصر [٣] ، وجاء فى مُقدمتها أن قوانين الأباطرة أصبحت صعبة المنال إما لتفرِقها فى الكتب أو لصعوبة فهمها، وتم تِقسيمها إلى عدة أِقسام :

قوانين الأحوال الشخصية : وثمثلت في قوانين الخطبة والنساء اللاتى لايملكن مهرا والزواج والطلاق، الوصايا والميراث والهدايا، والحرية والعبودية، والبيع والشراء والقروض والإيداعات، وقوانين المستأجرين، والشهود والشهادة، وقوانين الأطفال الشرعيين واللقطاء .

قانون العقوبات : واشتمل علي قوانين الجرائم والمخالفات الجنسية، وقوانين خطف النساء، والقانون الخاص بالحرائق، وقوانين القتل و القتل الغير متعمد، والمخالفات

---

(١) **ليو الثالث** : كان ابن اسكافى خدم فى الجيش ونجح فى أن يصبح قائدا للجيش ثم إمبراطورًا فيما بعد وأسس الأسرة الأيسورية وتوفى عام ٧٤١م . للمزيد عنه انظر :

Howland،Auniversal bibgraphical dictionary، New York،1825، P.279.

(2) Grumel،V.، la date de la promulgation de l'Ecloge de leon III، in Echos dorient، 38e، No،179،1935،pp327-331.

(3) Stien، P.Roman Law in European History، p.35.

مبروكة كامل ضيف يوسف، <u>الوضع القانوني للعبيد في بيزنطة: من القرن السادس إلى القرن الحادي عشر الميلادي</u>، دراسة في الثابت والمتغير في القالب التشريعي، كلية التربية، جامعة دمنهور، مصر، المجلد ١٤، العدد الأول، ٢٠٢١، ص ١٣٤-١٣٥.

الحربية، ومن يقم بوضع السم للآخرين، والزنادقة والكفرة والجرائم الخاصة بأعباء القادة العسكريين والإدارة القضائية .

القانون الكنسى : واحتوى على عدة قوانين مثل تكريس الأساقفة، وإدارة ممتلكات الكنيسة، والأديرة وممتلكاتها .

القانون البحرى : ويشمل القانون الرودوسى وقانون التعريفة الجمركية.

القانون الزراعي : ويشمل قوانين الحدود والطرق والينابيع، وقانون الفلاح الخاص بالمزارعين والقانون الخاص بالرعاة . (١)

وبعد عرضنا لقوانين الإيكلوجا أرى أنها مجموعة قانونية متكاملة وشاملة أفادت المجتمع البيزنطي في كل نواحي الحياة السياسية والدينية، والاقتصادية والاجتماعية.

ثالثا- <u>التشريعات القانونية فى عصر الأسرة المقدونية :</u>

وفي عصر الأسرة المقدونية وبخاصة عهد الإمبراطور باسل الأول المقدوني **Basil I** (٨٦٧-٨٨٦م) وابنه الإمبراطور ليو السادس LeoVI (٨٨٦-٩١٢م) تم إصدار قوانين جديدة باللغة اليونانية لتلائم روح العصر والتغيرات التى حدثت خلال هذه الفترة (٢)، وكان الهدف من ذلك تنقيح القوانين القديمة لتلائم التشريع المسيحى الأرثوذكسى، وأن تكون معبرة عن واقع المجتمع ومبسطة لتكون فى متناول الناس، ومن أهمها المجمل أو الدليل القانونى " **Prochiron** " صدر بين عامى ٨٧٠ و٨٧٩م، صرح الإمبراطور فى بدايته عن رغبته فى العودة إلى العمل بقوانين جستنيان، وانقسم هذا العمل إلى أربعين فصلا اشتمل على قوانين الأحوال الشخصية مثل الخطبة و الزواج والهدايا والميراث، والطلاق والقروض والإيجار والشراكة وغيرها

---

(١) محمد زايد عبدالله، مصادر تاريخ العصور الوسطى، ص ١٨٩-١٩٠.

See: Leo III and Constantine V of Isauria، The Ecloga، in Amanual of later Roman Law، Trans، Freshfield، E. H.، Cambridge university، 1827، pp.70-207.

(٢) من أهم وأبرز التغيرات التى حدثت انهيار اللغة اللاتينية فى القرن الثامن وحلول اللغة اليونانية محلها وبالتالى كان لابد من إصدار قوانين بهذه اللغة لتلائم هذا التغير خاصة وأن قوانين جستنيان كان معظمها مكتوب باللغة اللاتينية ، للمزيد انظر : إيمان محمود سقيو، الحياة الثقافية والعلمية فى الدولة البيزنطية فى الفترة من ٨٦٧-١٠٥٦م، دار الآفاق العربية،٢٠١٣، ص ١٤٥.

من القوانين الأخرى، وحقق هذا الكتاب انتشارًا واسعًا فى بيزنطة وظل محتفظا بقيمته حتى انهيار الإمبراطورية البيزنطية في القرن الخامس عشر الميلادي. (١)

وهناك أيضا كتب قانونية أخرى تم إصدارها فى عهد باسل الأول وابنه مثل "المدخل" المعروف بـ "الإيباناجو"**He Epanagoge** ، المتجددات **Novels** التكتيكا **Taktika**، ولكن أهمها على الإطلاق هو البازيليكا **Basilika** فهو عمل تشريعى ضخم صدر فى السنوات الأولى من حكم ليو السادس مابين عامى ٨٨٦/ ٨٩٢م ، جمع فيه القوانين المدنية والكنسية والقانون العام، وأصبحت المصدر الرئيسى للقانون فى القرون التالية وظلت تدرس ويعلق عليها حتى القرن الثانى عشر الميلادى، وكذلك كتاب "والي المدينة "**Eparchikon Biblion**"، وهو عبارةعن مجموعة الأوامر والتعليمات الإمبراطورية الموجهة إلى والي مدينة القسطنطينية ويتضمن جميع القواعد التنظيمية الموضوعة من قبل الحكومة البيزنطية في عهد الإمبراطور ليو السادس، وقامت هذه القوانين بتنظيم أوجه النشاط داخل النقابات الحرفية والتجارية والصناعية.(٢)

هذا فضلًا عن كتاب التكتيكا الصادر عام ٩٠٥م، ويتضمن شرحًا وافيًا لوسائل واستراتيجيات الحرب، وينقسم إلى عشرين جزءًا تتناول جميع الأمور العسكرية، كما أصدر القاضي يوستاثيوس رومايوس **Eustathios Romaios** القاضي بمحكمة الهيبودروم **Hippodrome**، كتاب البيرا **Peira** في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، ويشمل هذا المؤلف جميع القضايا المعروضة في محكمته خلال القرن الحادي عشر الميلادي، ويعتبر هذا المصدر مهما فى فهم التركيب الاجتماعي للإمبراطورية البيزنطية .(٣)

---

(1) Basil،I. The Procheiros Nomos، Translated،by. Freshield، E.H.، Cambrdige،1928، pp.59-106.

إيمان محمود سقيو، الحياة الثقافية والعلمية، ص ١٤٦-١٤٧.

(2) Stien، P.Roman Law in European History، p.35.

(3) Kazhdan، A. Change in Byzantine Cluture in the eleven and Twelfth centuries، London، 1985،pp.146-147.

، Dingledy، F. W. "The corpus juris civilis ،p.16.

مبروكة كامل ضيف يوسف، الوضع القانوني للعبيد، ص-١٣٥.

محمد مرسى الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص ٢٤٨.

هذا عن القانون الرومانى أما إذا انتقلنا للحديث عن القانون الكنسي فنرى أن هناك مجموعات قانونية كنسية وضعتها المجامع المقدسة، وقوانين الآباء المقدسين عبرت عن وجهة نظر الكنيسة فى مختلف الموضوعات مثل الزواج والطلاق والعقوبات والشئون الدينية كالرهبنة وغيرها، كما أفرد جستنيان للقوانين الكنسية فصولا كاملة فى مجموعة القوانين المدنية وفي التشريعات، واحتوت متجددات الإمبراطور ليو السادس على مايقرب من خمسة عشر فصلا لمعالجة قضايا الكنيسة والتنظيم الداخلى لها على النحو الذي أراده البطريرك، ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي ازداد الاهتمام بدراسة القانون الكنسي مع نظيره المدني .[١]

وخلاصة القول أن أباطرة الإمبراطورية البيزنطية اعتنوا بالعلوم التشريعية ولم تتوقف النهضة القانونية التي أشعل جذوتها جستنيان فى القرن السادس حتى عصر الأسرة المقدونية فى القرن الحادى عشر الميلادي، وبلغ اهتمام أباطرتها بدراسة القانون مبلغاً عظيما فأصدروا عدة مجموعات قانونية باللغة اليونانية لتواكب تطورات العصر، وشيدوا كلية الحقوق في جامعة القسطنطينية لتؤهل خريجيها لممارسة مهنة المحاماة وخاصة الذين تعلموا القوانين المدنية، هذا على عكس الغرب الأوروبي الذي ظل يتعامل بقوانين القبائل الجرمانية التى اشتملت على بعضاً من قوانين جستنيان حتى بداية القرن الحادي عشر الميلادي.

٤-إحياء دراسة القانون الروماني وأثرها فى ظهورالقانون الكنسي:

<u>أولا- إحياء القانون الرومانى :</u>

وما إن حلَّ القرن الحادي عشرالميلادي حتى أثار شيءٌ ما الاهتمام بتشريعات جستنيان االقانونية ، ووصف المؤرِّخون هذا الحدث بأنه "الانفجار الكبير"؛ بسبب تأثيره الهائل على الفكر القانوني الأوروبي ، وقد وضع الباحثون أسبابًا متنوعة لإحياء القانون الروماني، منها [٢]:

١- الثورة التجارية التي حدثت في شمال إيطاليا والتي أظهرت حاجة التجار إلي معرفة القوانين الخاصة بالمعاملات التجارية مثل قوانين الأسواق ، وتحرير العقود

---

(١) إيمان محمود سقيو، الحياة الثقافية والعلمية، ص ١٥٣.

(2) McSweeney، T. J. &Spike، M.K، The Significance of the Corpus ، p.22.

التجارية ، والمكوس والضرائب التي تدفع عند مرور السفن فى حوض البحر الأبيض المتوسط حتى تصل إلى شمال إيطاليا.(١)

٢- بداية انهيار النظام الإقطاعي، وظهور المدن، وقيام الملكيات القومية التي احتاجت إلى قوانين أشمل وأعم من القوانين المحلية ذات النظرة الضيقة للحياة ، فضلًاعما ترتب على التطور السياسي والنشاط الاقتصادي من كثرة الاتصالات بين الدول والممالك وتضارب المصالح، فالتمس كل حاكم من القانون ما يؤيد موقفه وما يبين حقه تجاه الآخرين (٢).

٣- صعوبة العمل بالقانون اللمباردي (٣)، وإعادة اكتشاف المجموعة القانوبية المعروفة بالموجز Digesta لجستنيان بعد إهمالها لعدة قرون.

٤- وهناك عامل مهم وحاسم ساهم فى تقدم العلوم القانونية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين وهو الصراع السياسي بين البابوية والأباطرة الألمان حول مسألة التقليد العلماني في القرن الحادي عشر؛ فأدَّى ذلك إلى الاهتمام بالقانون، لحاجة كل فريق إلى تدعيم مركزه، واتخاذ القانون أداة ليسمو بها على خصمه، خاصة أن القوانين الموجودة خلال هذه الفترة لم تقدم في ذلك سوى القليل من المساعدة في حل النزاع (٤).

---

(1)Lester K. Little، Religious Poverty and the Profit Economy in Medieval Europe، Cornell University Press، 1978، p.30.

Winroth، A & Tate، J، The Teaching of Law in the Twelfth Century، Copenhagen، 2006، 41.

(2) Cantoni، D. and Yuchtman، N. Medieval universities، legal institutions، and the commercial revolution، The Quarterly Journal of Economics، 129 (2)، Oxford University Press،2013، p.6.

محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص ٢٥١.

(٣) **اللمبارديون** : كان اللمبارديون من أهم الشعوب التى اهتمت بسن وتدوين القوانين الخاصة بهم بعد احتكاكهم بالعالم الرومانى فى إيطاليا، ويرجع الفضل إلى الملك روثارى Rothari (٦٣٦- ٦٥٢م) فى إصدار أول مجموعة للقوانين العرفية الخاصة بالشعب اللمباردى . انظر : محمد زايد عبد الله، جوانب من حضارة أوروبا، ،ص ٢٢٩-٢٣٠.

(4)Lester K. Little، Religious Poverty and the Profit Economy ، p.30.

Winroth، A & Tate، J.The Teaching of Law p. 41.

Dingledy، F. W. "The corpus juris civilis ،p.17.

وكما هو موضح في الأدبيات حول هذا الموضوع فإن إعادة اكتشاف الموجز لجستنيان تزامن مع حدوث النزاع بين البابوية و الإمبراطورية، والذي بدأ منذ منتصف القرن الحادي عشر في عهد كل من البابا ليو التاسع **Leo IX** (١٠٤٨- ١٠٥٤م) والبابا نيقولا الثاني **Nicholas II** (١٠٥٨-١٠٦١م)، ولكن هذا النزاع اشتد في بابوية جريجوري السابع **Gregory VII** (١٠٧٣م، ١٠٨٥م) [١] لذلك أصدر وثيقته الشهيرة بعنوان " الإملاء البابوى" **Dictatus papae** فى عام ١٠٧٥م، اشتملت على سبعة وعشرين بندًا موجزًا لسلطة البابوات، وكان الهدف منها منح البابوية سلطة مطلقة على السلطة العلمانية ، كما تبنِّي برنامج إصلاحي للكنيسة تمثل في مكافحة زواج رجال الدين[٢]، ومحاربة السيمونية [٣]، والتقليد العلماني[٤]، تحرير الكنيسة من

---

[١] **جريجورى السابع**، هو الكاردينال هلدبراند الذى انتخب لتولى العرش البابوى عام ١٠٧٣م، وهو واحد من أعظم القادة الذين عرفتهم الكنيسة فى العصور الوسطى، كان جريجورى صغير السن ممتلئ الجسم، قصير الساقين، ومن حيث المولد فربما كان ينتمى لأصل متواضع، انظر : موريس كين، حضارة أوروبا فى العصور الوسطى، ط٢، ترجمة / قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٠، ص٦٩ .

(٢) وكان الأمر المهم يتمثل فى منع رجال الدين من الزواج، أو إتخاذ المحظيات أو العشيقات، لأن الحياة الأسرية كانت تفهم على أنها توقع رجال الدين فى مشاغل هذا العالم، وتؤدى إلى ميراث المناصب الكهنوتية .

Joseph Caning، J. Ahistory of Medieval Thought، london and Newyork،2003،p.83.

.(٣) **السيمونية** : المقصود بها شراء المناصب الدينية بالمال، وهى تنسب إلى سيمون الساحر أول من دفع الدراهم للوظيفة الدينية، وعند التعامل مع هذه الجريمة كهرطقة لمس المصلحون المظهر المحورى للنفوذ العلمانى على تعيينات الكنيسة .

Joseph Caning، J. Ahistory of Medieval Thought،p.85.

.(٤) **التقليد العلماني** : المقصود به أنْ يقوم الحكام العلمانيون مِن أباطرة وملوك وأمراء بتقليد رجال الدين مهام مناصبهم الدينية، فالمعروف أن القانون الكنسي ينص على أن يكون تعيين القساوسة بواسطة أساقفتهم، وهي مشكلة تُجْسِدْ الصراع بين البابوية والإمبراطورية على تبوأ المكانة العليا في غرب أوروبا في العصور الوسطى، إذ كان الحكام العلمانيون يرون أنَّ مِن حقهم تعيين رجال الدين في الوظائف الكنسية داخل أراضيهم باعتبار أن هذا حق موروث لهم،=

سلطة العلمانيين (الدوقات– اللوردات)، وكان لهذا الإصلاح الجريجوري أثره في ظهور حاجة الكنيسة الماسة إلى تشريع القانون الكنسي [١].

ولذلك قامت ماتيلدا دوقة توسكانا بإيطاليا **Matilda of Tuskany** (١٠٤٦م – ١١١٥م) [٢] وهى من أهم الشخصيات النسائية فى العصور الوسطى، بدعوة العالم

= بينما تمسك البابوات بمبدأ سمو (نائب المسيح وخليفة القديس بطرس) على الحكام العلمانيين، وبالتالي رفضوا حق الملوك في تعيين رجال الدين أو التقليد العلماني.

عن ذلك انظر: نادية عبدالمنعم جودة حزين، توماس بيكت بين الدين والسياسة ١١١٨–١١٧٠م، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠١٥، ص١.

بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص٧٦.

Ullman، W. the growth of papal government in Middle Ages، London، 1955، P.237.

The Cambridge Medieval history، Cambridge، 1948، Vol.V، P.10.

([1]) Berman، H.J. Law and Revolution، The Formation of The Western Legal Tradition، Cambridge، 1983. p.99.

([٢]) **ماتيلدا** : ولدت فى عام ١٠٤٦م وهى ابنة الماركيز بونيفاسيوس ماركيز توسكانا، نشأة فى بيئة عسكرية لأن والدها خاض العديد من الحملات العسكرية الناجحة، أثرت هذه الخلفية العسكرية فى تشكيل مهاراتها القيادية وقدرتها على المشاركة فى الحملات العسكرية، كما تلقت تدريبا قانونيا وسياسيا بإشراف والدتها التى جهزتها لتولى السلطة بعد وفاة والدها وأخاها الوحيد، ساندت البابا جريجورى السابع أثناء صراعه مع الإمبراطور الألمانى هنرى الرابع (١٠٥٠– ١١٠٦م) وقدمت له دعما سياسيا وعسكريا كبيرا، فاعتبر هنرى هذا العمل من جانبها تهديدا مباشرا لسلطته الإمبراطورية، فشن عدة هجمات عسكرية على أراضيها فى شمال إيطاليا، وفى عام ١٠٧٦م أعلن جريجورى الحرمان الكنسى ضد هنرى وهو إجراء أدى تقويض شرعية الإمبراطور وجعل الكثير من أتباعه يشككون فى ولائهم له، وعندما قام هنرى بالتوجة إلى قلعة كانوسا فى يناير ١٠٧٧م للتوبة وطلب الصفح لعبت ماتيلدا دورا محوريا من خلال استضافته فى قصرها وتسهيل اللقاء مع البابا، وكان هذا الحدث نقطة تحول رمزية فى النزاع لكنه لم ينهه بشكل كامل، فعاد هنرى لمهاجمة البابوية وشن عدة هجمات على أراضي ماتيلدا محاولا إضعاف دعمها للبابا، فى المقابل أظهرت ماتيلدا مهاراتها العسكرية من خلال تنظيم قواتها وتحصين ممتلكاتها، وعقد تحالفات مع أعداء هنرى الرابع، بما فى ذلك دعم التحركات العسكرية ضد قواته فى إيطاليا،=

إرنريوس **Irnerius** [١]، للحضور إلى مدينة بولونيا **Bologna** الإيطالية عام ١٠٨٨م تقريبا، واتفقت معه على إنشاء مدرسة قانونية والبدء فى دراسة قوانين مجموعة جستنيان ومن هنا بدأت حركة إحياء القانون الرومانى ، وبالفعل قام إرنريوس بتأليف عدة كتب قانونية حول موسوعة جستنيان مع تقديم تفسير وشرح للنصوص القانونية والتعليق عليها بأسلوب جديد ومتميز سميت بالتعليقات **Commentaries**، وبسبب تفرده وتميزه الذي لامثيل له وأسلوبه الجديد في تفسير النصوص القانونية ، تمتع إرنريوس بسلطة كبيرة داخل مدرسة بولونيا وأصبح من أشهر معلمي القانون في غرب أوروبا ؛ ولقب " بشعلة القانون" وبالشارح **Glossator**[٢].

وكان أعظم إسهام لإرنريوس في إحياء القانون الروماني هو إضافاته الملموسة لبعض تشريعات جستنيان خاصة المتجددات "**Novellae** " والتي اشتملت على القوانين الخاصة بالزواج والملكية والميراث، وكذلك التشريعات **Justinian's Institutes** فجمعهما في عمل يُسمَّى القوانين الأصيلة في العصور الوسطى **Authenticum**، عرض فيه النص الأصلي للقانون، وعلق عليه في الهامش، وقدم

= واتسمت المواجهات بينهما بالعنف، حيث أرسل هنرى قوات كبيرة لمحاصرة أراضيها، ومع ذلك تمكنت ماتيلدا من الصمود بفضل استراتيجياتها الدفاعية وتحالفاتها القوية مع النبلاء المحليين والقوى الكنسية .

Hay،D.J. The Campaigns of Countess Matilda of Canossa (1046-1115) : analysis of the History and Social significance of awomen military Leadership، Doctoral dissertation، University of Toronto، 2000،pp.13-24.

([1]) Irnerius، Summa Codicis، Edited by. Hermann Fitting، Berlin،1984.

([٢]) محمد زايد عبد الله، جوانب من حضارة أوروبا ، ص ٢٣٧.

Spike، M. K. Tuscan countess the life and extraordinary times of Matilda of Canossa. Abrams، 2004، P.255-257.

Walter، R. Themes in A History of the University in Europe،p.5

See: Kantorowicz،H.Studies in the Glossators of Roman Law، p.33-65.

شروحًا للقوانين الخاصة بالإمبراطور والتي تحتاج إلى توضيح، ونظرًا لأهميتها القانونية قام فقهاء القانون وأساتذته بوضعها كملاحق لتشريعات جستنيان [١].

كما اتخذ إرنريوس من مجموعة جستنيان محورًا لتدريس القانون في بولونيا مفسحًا المجال للمناقشة والبحث والشرح، واضعًا دون شك أسس النهضة القانونية الفعلية في أوروبا، ولهذا خرجت بولونيا أعظم أساتذة القانون فى العصور الوسطى، واجتذبت شهرة إرنريوس الطلاب من شتى أنحاء أوروبا؛ إذ كانت شروحه علمية وتطبيقية في آنٍ واحد؛ لأنه لم يقنع بشرح النص، إنما كان يحاول أيضًا أن يطبق القانون على المواقف التي يحويها النَّص، وما لبث إرنريوس أن توفي في عام ١١٢٥م، وبعد وفاته استمرت النهضة القانونية بفضل تلاميذه ، وهم الذين أطلق عليهم لقب الشراح على مدى قرن من الزمان، وبرز أربعة منهم بصفة خاصة في العلوم القانونية وأطلق عليهم أيضًا لقب الدكاترة الأربعة **Four Doctors** وهم بلجاروس **Balgarus** ومارتينوس **Martinus** ، وهوجو **Hugo** ويعقوب **Jacob** لأنهم واصلوا دمج القانون الروماني في حضارة القرن الثاني عشر من خلال شرح وتفسير مواد القانون، ومن هنا لصق بهم لقب الشراح [٢].

ويبدو من الوثائق المعاصرة أن هؤلاء الأساتذة الأربعة حصلوا على شهرة واسعة بسبب عملهم كمستشارين للإمبراطور فريدريك الأول باربا روسا **Frederick Barbarosa** (١١٥٢ – ١١٩٠ م) [٣] في مجمع رونساجليا **Roncaglia** سنة

([1]) Pennington،K. Irnerius Bulletin of Medieval Canon Law، The Catholic University of America Press، Washington، Volume 36،2019،p.112.

see: Spagnesi، Enrico، Libros legum renovavit Inerio lucerne apropagatore del diritto، Pisa، 2013،pp. 86-101.

Gero Dolezalek، Repertorium manuscriptorum veterum Codicis Iustiniani (2 vols. Ius Commune، Sonderhefte 23; Frankfurt am Main 1985) P.362.

([2]) Dingledy، F. W. "The corpus juris civilis ،p.19.

محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص ٢٥٠.

[٣] **فريدريك الأول بربروسا** : من أقوى الشخصيات التى حكمت ألمانيا منذ أواخر القرن العاشر، تولى الحكم وهو في الثلاثين من عمره امتاز بالشجاعة والفصاحة والكبرياء وسرعة الغضب، والإيمان المطلق بعظمة الوظيفة الإمبراطورية وسموها وقد عمل منذ اعتلائه العرش على استرداد مكانة الإمبراطورية ومجدها المفقود، وهو المجد الذى لايتحقق في نظره إلا بالربط بين شطرى =

١١٥٨م، وامتازت شروحهم للقانون في أول الأمر بالإيجاز المطلق، حتى أنها لم تتجاوز كلمات قليلة بين الأسطر وفقًا للطريقة الشائعة حينئذ في شرح نصوص الإنجيل، ولكن بتعاقب الشُّراح ازدادت التفسيرات والتعليقات حتى خرجت من بين الأسطر فامتدت إلى الهوامش الجانبية، بل فاقت في بعض الأحيان حجم النص الأصلي، وأخيرًا ضاقت الهوامش عن الشروح والتفسيرات، فاستلزم الأمر تخصيص كتب خاصة لشرح النصوص القانونية ومن هذه الكتب ماتناولت كتاب بالتحليل العام وسمى هذا النوع بالمجمل **Summa**، ومنها ما اهتم بالمبادئ العامة التي تُستقَى من كتاب أونص وسمى هذا النوع المبادئ **Brocarda**، وهكذا لم تقف جهود شُراح بولونيا عند تهذيب النصوص القديمة وتحديد معانيها، وإنما تعدت ذلك إلى تحليل المواد القانونية وشرحها على أساس مناقشتها وتنفيذها في ضوء الأسلوب المنطقي الذي ازدهر في القرن الثالث عشر [١].

وبذلك نرى أن أعمال الشُّرَّاح تحولت إلى ميزة أفادت الدول في شمال أوروبا، عندما حدث النزاع بين البابوية والإمبراطورية ، فكان كل فريق بحاجة لتدعيم مركزه بالحجج والأسانيد القانونية، لذلك لجأ الإمبراطور فريدريك بربروسا إلى القانون الروماني لإثبات سمو الإمبراطورية على البابوية، ولتأييد حقوقه المطلقة في السيطرة على المدن الإيطالية ، فاستطاع أن يستغل البراهين التي تضمنتها مجموعة قوانين جستنيان في تأييد سيادته على المدن الإيطالية من ناحية، وأن يؤكد استبداده السياسي وزيادة سلطته في ألمانيا من ناحية أخرى، وما لبثت المدارس المختلفة في أوروبا أن أولت القانون عناية أكبر، ثم بدأت الجامعات الناشئة تعطيه أهمية متفاوتة برزت في كثير منها في أنحاء أوروبا؛ لتكتمل النهضة القانونية والتشريعية في العصور الوسطى، وخرَّجت جامعة بولونيا وغيرها أعدادًا كبيرة من الخريجين المتخصصين في القانون ليوفوا بحاجة الملكيات القانونية بحاجات الملكيات [٢].

= الإمبراطورية في ألمانيا وإيطاليا، لذلك بدأ بعقد معاهدة كونستانس مع البابا سنة ١١٥٣م وفيها تعهد فريدريك الأول بعدم عقد صلح مع روجر الثانى ملك صقلية دون موافقة البابا، وأن يقوم فريدريك بإخضاع أعداء البابا والثأرين ضده مقابل تتويج البابا له إمبراطورا ومساندته ضد خصومه في ألمانيا، وشارك فى الحملة الصليبية الثالثة انظر : حامد زيان، الامبراطور فريدريك باربا روسا والحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م)، القاهرة، ١٩٧٧، ص١٢.

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج٢، ص ٤٠٦- ٤٠٧.

(٢) محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص ٢٥١- ٢٥٢.

ثانيا –ظهور القانون الكنسي Canon Law :

أما القانون الكنسي فهو الشق الثاني من النشاط التشريعي في العصور الوسطى ويعرف بأنه "مجموعة القوانين واللوائح التي تحكم الكنيسة المسيحية ورعاياها وتساعدها في ممارسة رسالتها في العصور الوسطى "، وكان تأثيره على الحياة اليومية للأوروبيين بنفس قدر تأثير القانون العلماني على الحياة في العالم الحديث الآن، فلامس تأثيره تقريبًا كل جوانب الحياة في المجتمع، ولم يتعامل فقط مع ما يعتبره معظم الناس اليوم مسائل دينية، ولكن أيضًا مع العديد من القضايا ذات الطبيعة العلمانية البحتة، وإذا نظرنا إليه من منظور تاريخي أعمق وأكثر ثراء، فإن تأثير القانون الكنسي كان هائلًا وطويل الأمد ومتنوعًا بشكل ملحوظ [١].

وكان من أهم أسباب سن هذا القانون حاجة الكنيسة الغربية إلى قانون خاص بها، بعد أن صارت قوة عالمية تجاوزت حدودها كافة الحدود السياسية، وتمتعت بكل ما للدولة من مقومات، ويكفي أن الكنيسة الغربية كان لها رئيسها الأعلى وهو البابا، ولها أراضيها الواسعة ورعاياها من جمهور المسيحيين في مختلف البلدان الغربية [٢].

بالإضافة إلى ثورة البابا جريجوري السابع ضد امبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة هنري الرابع **Henrylv** (١٠٥٠– ١١٠٦م) [٣] بسبب سيطرته هو ورجاله على المؤسسات الكنسية، وتأسيس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية باعتبارها سلطة دينية مستقلة عن الكنيسة العالمية في روما، فأصدر ضده مرسوم الإملاء البابوى عام ١٠٧٥م ووقع عليه عقوبة الحرمان الكنسى وعزله من منصبه، فخرجت البابوية من هذا النزاع منتصرة ورأى البابا أن هناك حاجة لوضع قوانين كنسية خاصة بها تحدد سلطتها وتحافظ عليها . [٤]

---

(1) John C. Wei.، Winroth،A. Medieval Canon Law، Cambridge University Press،2022، P.1.in www.cambridge.org. www.cambridge.org.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج٢، ص٤٠٨.

(٣) **هنرى الرابع** : في عام ١٠٥٣م إختاره الأمراء الألمان ملكا كوريث من الفرع السكسونى، فاعتلى هنرى العرش وهو طفل صغير، إلاأنه سرعان ما أثبت قدرة كبيرة على التفوق والنبوغ، وكملك كُفء حاول أن يمنح الإمبراطورية التى ورثها عزماً جديداً، وكان من الممكن أن يصبح إمبراطورا عظيما لو أنه لم يدخل فى صراع مع البابا جريجورى السابع الذى كان على قدركبير من الذكاء، ومليئا بروح الحماس لجعل البابا الحاكم الفعلى لمملكة المسيح على الأرض، موريس بيشوب، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، ص٥٣ .

(4)Reid Jr، J. & Witte Jr، J. In the Steps of Gratian Writing،the History of Canon Law، in the 1990's، Emory LJ،48، 1999، p.648.

وفي نهاية القرن الحادى عشر تم إصدار التشريع الكنسي، والذي أخذ صورته النهائية لأول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي ، ولأول مرة في هذه الفترة تمكنت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية من امتلاك سلطة قضائية واسعة على القضايا المتعلقة بالمسائل الروحية والزمنية . [١]

أما إذا تتبعنا مصادر القانون الكنسي فيأتى فى المقام الأول القانون الرومانى الذى تبنت الملكة ماتيلدا مع البابا إحيائه ودراسته للإستفادة منه فى معرفة حقوق الكنيسة وواجبات الأباطرة تجاهها، والمراسيم البابوية التى صدرت فى المجالس الكنسية منذ عهد قسطنطين الكبير (٢٧٤-٣٣٧م) وخلفائه، ففى عهده حصلت الكنيسة على العديد من الامتيازات الاقتصادية، والاجتماعية، والقانونية، ومع ازدياد حجم الكنيسة وتنامى ثرواتها تزايدت أهميتها، وبرزت معها الخلافات بين المسيحيين حول المسائل العقائدية، ولحل هذه الخلافات والبت فى القضايا التأديبية ؛ عقد الأباطرة الرومان المسيحيين من قسطنطين فصاعدًا مجامع دينية عالمية اجتذبت مشاركين من جميع أنحاء الإمبراطورية بأكملها وأشهرها المجامع المسكونية الأربعة الأولى: نيقية الأول (٣٢٥م)، القسطنطينية الأول (٣٨١م)، أفسس (٤٣٠ م)، و خلقيدونية (٤٥١م)، هذه المراسيم حفظت الكثير من القوانين التى صدرت خلال هذه الفترة فكان من الضروري إزاحة الغبار عنها وإخراجها للنور والاستفادة منها في دفاع الكنيسة عن حقوقها ، وهناك أيضا كتابات آباء الكنيسة الأوائل مثل الرسائل، التعليقات الكتابية، الأطروحات اللاهوتية [٢]،

([1])Reid Jr،J. & Witte Jr، J. In the Steps of Gratian، p.650-651.

[٢] **علم اللاهوت** : يعرف اللاهوت بأنه المصطلح المقابل لمصلح Theology الإنجليزى وهومركب من مقطعين Theo ومعناها إله وlogy ومعناها علم إذا فهو علم الإلهيات، ويعرف= =على أنه التأمل المنهجى فى العقائد الدينية والكلمة تستخدم عادة للإشارة إلى دراسة العقيدة المسيحية، ويذهب المسيحيون إلى ربط هذا المصطلح بالسيد المسيح ' فيرون أن اللاهوت هو البحث فى الذات الإلهيه واللاهوت المسيحى بالتخصيص هو البحث فى طبيعة المسيح،وهو علم كامل مستقل، لأنه لايدرك غايته، وهو فهم ذات الله تعالى عن طريق الإستدلال من أصول ومبادئ ومنتهياً إلى نتائج، عن ذلك انظر : الأب منصور المخلصى، اللاهوت المعاصر (الله فى اللاهوت المسيحى المعاصر)، الطيف للطباعة، بغداد، ٢٠٠٢، ص٩، عبد الوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (م ١- ٢)، ج٢، دار الشروق، القاهرة، ص٢١، لويس غارديه، جورج قنواتى، الفكرالدينى بين الإسلام والمسيحية، ترجمة / صبحى صالح، الأب فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩، ص١٨، أنمار أحمد محمد، اللاهوت المسيحى نشأته – طبيعته، ط١، دمشق، سوريا، ٢٠١٠، ص١٧ .

أو السير الذاتية ، فكان يُعتقد أن قدسية المؤلف تمنح سلطة خاصة لكتاباته ، حتى لو لم يكن ينوي أبدًا التشريع بشأن مسألة قانونية، بالإضافة إلى القضايا المتعلقة بالجرائم الدينية والعقوبات التي كانت تفرضها الكنيسة على خطيئة أو جريمة معينة [١].

أما عن القضايا التي اختص بها القانون الكنسي فنرى أنه قد تطرق إلى كل جانب من جوانب الحياة في العصور الوسطى تقريبًا، وكان يُطبق بشكل مباشر ومن خلال القانون العام في كل مكان في العالم المسيحي اللاتيني، فنظم إدارة الكنيسة الغربية واقتناء وبيع الممتلكات الكنسية، كما اشتمل على القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية كالزواج، والطلاق، والميراث، والوصية، ووضع قواعد تتعلق بالسلوك الاقتصادي والعسكري والجنسي في المجتمع، ومنح امتيازات خاصة لرجال الدين والمتدينين، وعاقب الكفر والبدع الدينية ، والسحر والخرافات، فكان هذا القانون أداة لتحسين أحوال الكنيسة وتنفيذ الإصلاح الروحي فيها، لكن زعماء الكنيسة وكبار رجال الدين استخدموه لتحقيق أهداف سياسية ودنيوية، مثل زيادة الإيرادات الكنسية، وتوسيع السلطة البابوية الزمنية، وتبرير عدم المساواة الاجتماعية بينهم وبين الاباطرة والملوك باعتباره القانون الرئيسي في المجتمع، ونتيجة لذلك تمتع رجال الكنيسة بسلطة قضائية واسعة وصارت دور القضاء الكنسية تباشر نفوذًا واسعًا في غرب أوروبا، وغدت المحكمة البابوية بمثابة محكمة استئناف عليا، تستأنف أمامها القضايا من مختلف بلدان غرب أوروبا .[٢]

على أن هذا النشاط القضائي الذي قامت به الكنيسة استلزم وجود عدد كبير من المتخصصين في أحكام القضاء الكنسي من جهة، وتنظيم القانون الكنسي وتبويبه ليسهل الرجوع إليه وتداوله من جهة أخرى ، لأنه جاء وقت في العصور الوسطى صارت القوانين الكنسية تعاني كثيرًا من التداخل والتناقض، فكان لابد من ترتيب هذه المادة وتنظيمها، ولكن لم تبذل محاولات جادة في هذا الصدد حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وعندئذ ظهرت عدة محاولات قام بها بركارد أسقف وورمز **(Buchard of Worms)** وانسلم أسقف لوكا **Anslem of Lucaa** وايفو Ivo أسقف شارتر . [٣]

([1]) John C. Wei.، Winroth،A. Medieval Canon Law، P.2.

([2]) Giaro، T. Medieval Canon Lawyers and European Legal Tradition. A Brief Overview، Warsaw، Poland، 2021، p.157.

([٣]) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج٢، ص٤٠٨.

على أنه لا يوجد شك في أن أهم محاولة شهدتها العصور الوسطى لتنظيم القانون الكنسي وتبويبه، كانت تلك التي قام بها العالم جراتيان **Gratian** خلال القرن الثاني عشر الميلادي المعروف بقرن القانون[١] ، كان جراتيان راهبًا فى النظام الكامالدولي **Camaldolese monk** أحد فروع الرهبنة البندكتية، وعمل بالتدريس في دير القديس فيليكس ونابور **monastery of St. Felix and Nabor in Bologna** في بولونيا، وهو أول محامى متخصص فى قوانين ولوائح الكنيسة الغربية يعمل فى بولونيا[٢] ، ومن وجهة نظره " أن القانون الذي يحكم المجتمع يجب أن يكون متوافقًا مع الدين ويؤدي إلى خلاص البشر" . [٣]

انتهى جراتيان من تأليف كتابه في القانون الكنسي عام ١١٤٠م وجاء بعنوان " **توافق الشرائع المتنافرة** " **discordantium canonum Concordia** [٤]، ثم سمى " بمرسوم جراتيان" **Decretum Gratian's** نسبة إليه ، وهو المصدر الساسي لتعليم القانون الكنسي فى العصور الوسطى لذلك لقب جراتيان " بأب القانون

---

(١) هذا الرجل المعلومات عن نشأته قليلة فتاريخ ميلاده غير معروف، من المحتمل أن يكون قد ولد في مدينة تشيوسي Chiusi في توسكيا Tuscia بإيطاليا أو في كرارا Carraria بالقرب من أورفيتو Orvieto ، وهناك أيضًا خلاف حول تحديد تاريخ وفاته، الرأى الأول أنه توفي عام ١١٦٠م، والرأى الثانى ذكر أنه من المحتمل أن يكون قد توفي في عام ١١٥٠م.

Landau، P. Quellen und Bedeutung des gratianischen Dekrets. Pontificia università lateranense، 1986، p.220.

Antoni Dębiński، Church and Roman Law،P.13.

(2) Van Hove، A. Commentarium Lovaniense in Codicem Iuris Canonici، vol. I، Prolegomena، (further cited as Prolegomena)، Mechliniae-Romae 1928، p.61.

(3) Gratianus de Clusio (1139-1150)، Concordantiam Discordantium Canonum seu Decretum Gratiani (Excerptum، Aemili Friedberg 1879)، Romae MMVII،P.4.

(4) Seee: De excommunicatis vitandis، de reconciliatione lapsorum et de fontibus iuris canonici، Patrologia Latina، Vol. 148، MGH،، Hannoverae،1891-1897، vol. II، pp. 1-168.

الكنسي" [١]، ويعد هذا العمل أول أطروحة ناجحة تقدم ملخصًا لقوانين الكنيسة، اتبع فى كتابته المنهج الجدلي الذي استخدمه بطرس لومبارد **Beter Lombard** (١٠٩٥- ١١٦٠م) فى كتاباته [٢] ، فلم يقم بإدراج المسائل القانونية فحسب بل قام بتحليلها وتقديم حلول لتناقضاتها الواضحة ، ولهذا الرجل الفضل فى فصل القانون الكنسي كعلم عن اللاهوت. [٣]

قدم جراتيان فى هذا الكتاب النصوص التشريعية التي تم العمل بها منذ نشأة الكنيسة قبل عصر قسطنطين إلى المجمع الدينى الذي عقده البابا إنوسنت الثاني Innocent IIفي عام ١١٣٩م، أما المصادر التي اعتمد عليها جراتيان في عمله فهي الكتاب المقدس، والنصوص والمراسيم البابوية، وقوانين المجامع الدينية، وأجزاء من كتابات آباء الكنيسة مثل القديس أوغسطين **Augustine**[٤] والقديس جيروم **Jerome** [٥]،

([1]) Van Hove، A. Commentarium Lovaniense in ، p.61.

([٢]) **بطرس لمبارد** : ولد بين عامى ١٠٩٥- ١٠٠٠م، فى منطقة نوفارا Novara بمنطقة لومبارديا Lombard شمال إيطاليا وتوفى عام ١١٦٠م، فهو إيطالياً قدم إلى فرنسا ليواصل العمل الراقى فى اللاهوت والفلسفة [٢]، وتولى أسقفية باريس، وهوتلميذ أبيلارد، وقد إتبع مذهبه بإستخدام المنطق وقام بنشر تعاليم أستاذه ومبادئه التى صنفها، فى عملهالشهير بعنوان الجمل Sententiae in quatuor.

Rosemann، W . P . Peter Lombard، Oxford، 2004، P . 34 .

([3]) Longer Canon Law Introduction taken from Coriden، A .، Green،T. The Code of Canon Law، A Text and Commentary، New York: 1985، P.2.

([٤]) **القديس أوغسطين** : كاتب وفيلسوف مسيحي ولد في طاغاست (حاليا سوق أهراس، الجزائر) في ١٣ نوفمبر سنة ٣٥٤م من أب وثنى وأم مسيحية، تلقّى تعليمه في روما وتعمّد في ميلانو، ومؤلفاته بما فيها الاعترافات التي تعدّ أول سيرة ذاتية في الغرب لا تزال تقرأ إلي الآن في شتى أنحاء العالم. للمزيد عنه انظر: اعترافات القديس أوغسطينوس، ترجمة: الخورى يوحنا الحلو، دار المشرق، لبنان، ١٩٩١م، ص١-٢.

([٥]) **القديس جيروم** (٣٤٧- ٤٢٠م) هو أحد آباء الكنيسة القدامى له مؤلفات عديدة منها ترجمته لحياة الرهبان المصريين وأنظمتهم إلى اللغة اللاتينية، ساعدت هذه الترجمة على سرعة انتشار الرهبنة فى الغرب، قدم ترجمة باللغة اللاتينية للإنجيل ، أصبحت الترجمة المعتمدة المعترف بها فى العالم بعد أن حلت محل النص الأصلى القديم ، وقد تأثر علم اللاهوت تأثيرا واضحا بهذه الترجمة .

Burgh، W . G .The Legacy of The The Ancient World،Vol . I، London، 1955، pp . 310- 311.

وكتب التوبة والكتب الليتورجية " كتب الطقوس الدينية، وكذلك نصوص القانون الروماني والقوانين الجرمانية التي أصدرها ملوك الفرنجة [١].

وانقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء يشمل الجزء الأول المقدمة ويتألف من مائة باب يعالج بعضها مصادر القانون الكنسي مثل القانون الطبيعي والقانون العرفي والتشريعي، والبعض الآخر يتحدث عن التسلسل الهرمي الكنسي والقواعد القانونية المتعلقة برجال الدين وحقوقهم والتزاماتهم وصفات المرشحين للرتب الدينية والعوائق والمخالفات، وكذلك الاحتفال بالرتبة والصفات المطلوبة في الأساقفة، الدعم المادي لرجال الدين، والاهتمام بالفقراء والعلاقات بين السلطة الكنسية والعلمانية، هذه الفروق تختتم الجزء الأول من المرسوم [٢]، ومن الجدير بالذكر أن هذا العمل لم يكن عبارة عن مواد قانونية بحتة، فربط جراتيان بين اللاهوت الأخلاقي والعقائدي وبين القانون الكنسي بهدف تحديد وتنظيم إيمان وحياة الكنيسة وشعبها خاصة في الجزء الثاني والثالث [٣].

أما الجزء الثاني فيضم ستا وثلاثين قضية مختارة تمت مناقشتها فى ضوء القانون الكنسي منها السيمونية، الهرطقة، والزواج، والأوامر الدينية والإجراءات القضائية، والتوبة، وأخيرًا يشمل الجزء الثالث خمسة أبواب في العبادة والطقوس الكنسية، ويشتمل على أحكام الإفخارستيا " وتعنى الشكر، وهى سر من أسرار المسيحية تفيد بأن المسيح موجود بلاهوته وناسوته فى الخبز والخمر الذى يتناوله المسيحيون فى احتفالاتهم " ، والمعمودية [٤] والتثبيت والأعياد والقداس والأخلاقيات

([1])Burczak، K. Sacrilegium in Gratian's" Decretum"، Wydawnictwo KUL، 2012، p.13.

Winroth. A، The Making of Gratian’s Decretum، p.5.

([2]) Van Hove، A. Commentarium Lovaniense in Codicem، p.162.

([3])Burczak، K. Sacrilegium in Gratian's" Decretum"،p.13.

(٤) **التعميد:** طقس مسيحي يمثل دخول الإنسان الحياة المسيحية. تتمثل المعمودية باغتسال المعمّد بالماء بطريقة أو بأخرى. ويعد سر المعمودية أحد الأسرار السبعة المقدسة في الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية وأحد السرين المقدسين في الكنائس البروتستانتية، والشخص الذي يجري تعميده يصبح تابعاً ليسوع المسيح وتابعاً للكنيسة المسيحية، والعماد يمثل موت يسوع المسيح وقيامته في الحياة الجديدة، أيضاً الطفل المعمد يخلّص من الخطيئة الأصلية التي هي خطيئة آدم وحواء ويدخل الحياة مرة أخرى كإنسان جديد، وبحسب الاعتقاد المسيحي، فإن أول عماد في التاريخ كان عماد المسيح على يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن. للمزيد عن ذلك انظر: القس أنطونيوس فكرى، الأسرار الكنسية السبعة، مشروع الكنوز القبطية، (د–ت)، ص٣–٥.

والصيام [١].

وسرعان ما أحرز عمل جراتيان أهمية كبيرة لذلك جعلته الكنيسة في مقدمة مجموعة القانون الكنسي **(Corpus Juris Canonici)** التي قامت بجمعها، وهنا نلاحظ أن البابوية اختارت لمجموعة القوانين الكنسية اسمًا مطابقًا لاسم مجموعة جستنيان في القانون المدني **(Corpus Juriis Civilis)** ؛ مما يدل على أن القانون الكنسي اقتفى أثر القانون الروماني في تطوره ، والواقع أن العلاقة بين القانون الكنسي والقانون المدني الروماني كانت قوية وواضحة ، ظهرت في ثلاثة نواحي مهمة، أولها أن القانون الروماني كان مصدرًا قويًّا استقى منه القانون الكنسي مادته ، وثانيًا أن القانون الكنسي اقتفى أثر القانون الروماني في تطوره وترسم خطاه في دراسته ، ثالثًا جاء هذا القانون بمثابة رد فعل قوي تجاه القانون الروماني حتى يكون للبابوية سند قوي تستند إليه كما استندت الإمبراطورية إلى القانون الروماني [٢].

ومن السلبيات التى أخذت على عمل جراتيان ، ارتكابه العديد من الأخطاء في كتابة النصوص القانونية ، كما أدخل في المرسوم عددًا من النصوص من المجموعات المزورة خاصة المراسيم الإيزيدورية الزائفة من منتصف القرن التاسع الميلادي ، وبالرجوع إلى النصوص الأصلية في كتاب المراسيم نرى أن هناك إضافات أدخلت على النص في وقت لاحق، وقد سُميت هذه النصوص بالايا**paleae** ، على اسم تلميذ جراتيان باو كابالليا.**pupil Pau–capalea** ، وهو عمل مهم حفظ بداخله النصوص القانونية الصحيحة لمرسوم جراتيان.[٣]

([1]) Rambaud، Buhot، J. L'étude des manuscrits du Décret de Gratien conservés en France. 1953، pp.129–130.

Winroth. A، The Making of Gratian's Decretum،p.5.

See: Corpus iuris canonici، Decretum magistri Gratiani، edition، Emil Friedberg (Leipzig1879).

([2])James A. Brundage، The Medieval Origins of the Legal Profession (Chicago، London: The University of Chicago Press، 2008)، 123–125; Hermann، L. &Maximiliane، K.Römisches Recht im Mittelalter، vol. II. Die Kommentatoren (München:C.H. Beck، 2007)، 209–215.

([3])Valdrini،P. Roman Catholic Canon Law، St Andrews Encyclopaedi of Theology،university of St Andrews،2024،P.5. =

وبالرغم من ذلك يعد القانون الكنسي مصدرًا مهمًّا للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، والفكري والديني لهذه الفترة ، فبدون هذه المجموعة القانونية الضخمة، لغابت عنا أنشطة الأساقفة والباباوات ، والأباطرة والملوك والنبلاء ، فهذه المجموعة حافظت على غالبية القوانين المجمعية التي سلمت من الضياع [١]، كما أنها تسلط الضوء على فكر رجال الدين ، وعلى المناقشات السياسية المعاصرة والمشكلات الاجتماعية، مثل الجرائم الغير الأخلاقية المتعلقة بارتكاب الفاحشة ، والتعذيب، والربا، والحروب، وعدد آخر من القضايا التى لاحصر لها. [٢]

وفى النهاية نقول إن القانون الكنسي كان من نتاج المصادر الكنسية وتفسيراتها، إلا أنه كان مرتبطًا بالقانون المدني وكانا متشابكين للغاية ؛ بحيث لا يمكن فهم أي منهما دون الآخر، فالقانون المدني دون الكنسي قليل القيمة، والقانون الكنسي لا شيء بدون المدني , ولذلك تلقى العديد من المحامين دروسًا في القانون المدني والكنسي[٣]، وخصصت الجامعات الأوروبية الناشئة محاضرات لتدريس القانون الكنسي جنبًا إلى جنب مع القانون الروماني .[٤]

= Howell، M. C." Manlio Bellomo، The Common Legal Past of Europe 1000–1800، Washington DC، The Catholic University of America Press، 1995،pp. 73–74.

Van Hove، A. Commentarium Lovaniense in Codicem ، p.66.

(١) **إنوسنت الثالث Innocent III** : ولد حوالي عام ١١٦٠ م، ودرس اللاهوت في باريس، وكذلك القانون الكنسي في بولونيا، ودرس في السلك الكنسي حتى صار كاردينالا عام ١١٩٠ م، وألف عدة مؤلفات، كما أظهر مهارة إدارية، وتولى منصبه البابوي خلال المرحلة من ٨ يناير ١١٩٨ م إلى ١٦ يوليو ١٢١٦ م، خلفا للبابا كلستين الثالث Clestin III (١١٩١ – ١١٩٨ م) وهو في الأصل من لوتاريو Lotario، مما يذكر أن إنوسنت الثالث دعى إلى شن حملة صليبية ضد العناصر الألبيجنسية في جنوبي فرنسا، كذلك له دوره في دعم الحملة الصليبية الرابعة، كما أنه قام بعقد مجمع كنسي في نوفمبر عام ١٢١٥ م، وهو ما عرف بمجمع اللاتيران الرابع The Fourth Lateran Council، وتوفى عام ١٢١٦ م . انظر :

Kelly، J. The Oxford Dicitionary of Popes، Oxford 1988، pp. 186 – 188.

(2) John C. Wei.، Winroth،A. Medieval Canon Law، P.5.

(3) Valdrini،P. Roman Catholic Canon Law،P.5.

Howell، M. C." Manlio Bellomo، The Common Legal ، pp. 73–74.

Van Hove، A. Commentarium Lovaniense ، p.66.

(4) Reid، Jr، J. & Witte Jr، J. In the Steps of Gratian،pp.650–661.

الخاتمة :

من خلال دراستنا لهذا الموضوع نرى أن الهدف من التشريعات القانونية فى مختلف الأزمنه هو تحقيق العدالة بين جميع طوائف المجتمع، مع التزام الجميع بمعرفة مالهم من حقوق وتأدية ماعليهم من واجبات، كما أن القوانين تنظم المعاملات التجارية والاقتصادية، والعلاقات الشخصية كالزواج والطلاق والميراث، وتحدد العقوبات الرادعة على مرتكبي الجرائم للمحافظة على البناء السليم للمجتمع .

وتدين أوروبا بالفضل الكبير للإمبراطورية الرومانية فى مختلف الميادين الحضارية وبخاصة الميدان العلمى والذى يعتبر القانون أحد فروعه، لأنها أمدت أوروبا بنظام قانونى متقدم عرف " بالقانون الرومانى " وهو خلاصة تجاربها فى حكم مختلف شعوب العالم القديم لعدة قرون، تميز هذا النظام بالوضوح والعدالة ووضع أسسًا لمفاهيم حقوق الأفراد والمساواة، وبفضل هذا القانون تشكلت الأنظمة القانونية للدول الأوروبية الناشئة بعد انهيار الإمبراطورية، ليس هذا فحسب بل استمر تأثيره فى تشريعات جستنيان ومن جاء بعده من الأباطرة فى الإمبراطورية الرومانية الشرقية، كما تشكل القانون الكنسى واستمد أصوله من القانون الرومانى، ولا يزال أثر هذا القانون باقيا حتى الآن فى كل النظم القانونية لأوروبا الحديثة .

كما شهدت العصور الوسطى نشاطًا كبيرًا في ميدان التشريعات القانونية، وهو نشاط أخذ في الازدياد تدريجيا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية فى نهاية القرن الخامس مرورًا بعصر الإمبراطور جستنيان فى القرن السادس الميلادى، ثم تبع ذلك فترة من الركود والظلام الفكرى نتيجة لتدهور وتردى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى أوروبا حتى نهاية القرن العاشر الميلادى .

ولكن بقاء الحال من المحال فمع ازدهار التجارة ونشأة المدن وظهور النقابات الحرفية، واستقرار الأحوال السياسية فى القرن الحادى عشر بدأ الناس يشعرون بأنهم فى حاجة إلى توجيه نظرهم نحو النشاط الفكرى والثقافى، وبدأوا فى التنقيب عن العلوم القديمة لإحياء دراستها وكان للقانون وبخاصة القانون الرومانى حظ وافر من الدراسة، نتيجة لحاجة الحكام والمحكومين فى معرفة مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات ليخرجوا من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة .

كما كان للنزاع بين البابوية و الإمبراطورية على تحديد السلطة والنفوذ بينهما، دور كبير فى إزدهار دراسة القانون الرومانى والكنسى، ونشأة الجامعات الأوروبية التى كان لها الفضل فى قيام الحضارة الأوروبية العظيمة التى تشهدها أوروبا الآن .

قائمة المصادر والمراجع "Bibliography "

أولاً –المصادر الأجنبية:

– Anonymus Valesianus, Excerpta Valesiana, recensuit Jacques Moreau,Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanoum، Teubneriana, Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow, leipxic, 1968.

Basil,I. The Procheiros Nomos, Translated,by. Freshield, E.H., Cambrdige,1928.

– Burczak, K. Sacrilegium in Gratian's Decretum, Wydawnictwo KUL, 2012.

– Corpus Iuris canonici, Decretum magistri Gratiani, edition, Emil Friedberg، Leipzig, 1879.

– De excommunicatis vitandis, de reconciliatione lapsorum et de fontibus iuris canonici, Patrologia Latina, Vol. 148, MGH, Hannoverae,1891–1897.

– Glanville, R. The Law and Customs of The Kingdom in England, (ed) John Beames،J, London،1812.

–Gratianus de Clusio (1139–1150), Concordantiam Discordantium Canonum seu Decretum Gratiani (Excerptum, Aemili Friedberg 1879), Romae MMVIIP.

–Irnerius, Summa Codicis, Edited by. Hermann Fitting, Berlin,1984.

–John Malalas, The Chronicle of John Malalas, trans,by, ElizabethJeffreys&MichaelJeffreys&RogerScoot, Melbourne,1986,

Jordanes, The Gothic History, Trans by, Christopher,Ch, Prinseton university press,1915.

-Joshua the Stylite, The Chronicle of pseudo- Joshua the Stylite, Trans, By, Trombley F.R.، and Watt J.W., Liverpool,2000.
.-Jusinian I، Corpus Juis Civilis، Edited by, paul Kuger, Weidmannos, Berlin، 1906.
-leges Burgundionum,Editied by, Bluhme, F., Monumenta، Gemaniae Historica، Hanover,1863.
-Leo III and Constantine V of Isauria, The Ecloga, in Amanual of later Roman Law, Trans, Freshfield، E. H., Cambridge university, 1827.
-Lex Salica, Herausgegeben und Erlautert Von, Geffcken،H ., Leipzig, Germany,1898.
-MarcellinusComes,The Chronicle of Marcellinus, trans,by.Croke,B., Australian Association for Byzantine Studies, 1995.
-Procopius of Caesarea, History of the Wars, Trans, by، Dewing، H. B، vol. I، Loeb Classical Library، London and New York 1914-1928.
- Spagnesi, Enrico, Libros legum renovavit Inerio lucerne apropagatore del diritto, Pisa, 2013.
-The Burgundian code, Book of Constitutions or Law of Gundobad Additional Enactments،Trans by. Katherine Fischer Drew, K. F. Philadelphia University of Pennsylvania, press,1949.
-The Law of Salian Franks, Translated and Introduction by, Drew, K.F,university of Pennsylvania, Philadelphia,1991.
-The Theodosian Code and Novels and Sirmandian Constitutions, Trans, Clyde Pharr, New York,1951.

-Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine Near Eastern History (284-813 AD), Trans.by، Magno. C, &Scott . R, Clarendon press, Oxford,1997.
-The Visigothic code (Forum Judicum) , ed.Schott, S.P,Philadelphia,1908.
- Van Hove, A. Commentarium Lovaniense in Codicem Iuris Canonici, vol. I، Prolegomena, (further cited as Prolegomena), Mechliniae-Romae 1928.
-Zonorae, Ioannis Zonarae Epitomae Historiaum LibriXVIIIex Recensione Maurici pinder TomusIII, Bonnae,1897.
-Zosimus, The New History of Count Zosimus, Advocate and Chancellor of The Roman Empire, Translated from Original Greek, London،1814.

ثانيًا- المصادر المترجمة:

- بروكوبيوس، التاريخ السرى، ترجمة عادل زيتون،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، دمشق،٢٠٠٣.
- تاكيتوس، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة/ إبراهيم على طرخان، القاهرة،١٩٥٩.
- جوستنيان، مدونة جوسنيان في الفقه الروماني " Institutes De Justinien"، ترجمة/ عبد العزيز فهمي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م.

ثالثًا- المراجع الأجنبية:

- Berman, H.J. Law and Revolution, The Formation of The Western Legal Tradition, Cambridge, 1983.
- Burczak, K. Sacrilegium in Gratian's" Decretum", Wydawnictwo KUL, 2012.
- Burgh، W . G .The Legacy of The The Ancient World،Vol . I، London، 1955.
- Crook J. A. Law and Life in Rome, London, 1971.

- Dębiński, A, Church and Roman Law, English translation
Konrad Szulga, Lublin 2010.
- Dingledy, F. W. The corpus juris civilis a guide to its history and use, Library Staff Publications, 2016.
- Ferrero, Ida. European history of law. Evolution and fundamental features. Giappichelli editore, 2023.
- *Giaro*, T. Medieval Canon Lawyers and European Legal Tradition. A Brief Overview, Warsaw, Poland, 2021.
- Häusler, A. Roman law, Introduction to Swiss Law, Universität Zürich,2023.
- Hodgkin, T., Italy and her Invaders, Voll.III, Oxfod، 1885.
- Howell, M. C." Manlio Bellomo, The Common Legal Past of Europe 1000–1800 "، Washington DC, The Catholic University of America Press, 1995.
- James A. Brundage, *The Medieval Origins of the Legal –Profession* (Chicago, London: The University of Chicago Press, 2008).
- Joseph Caning، J. Ahistory of Medieval Thought, london and Newyork،2003.
- Kantorowicz, H.Studies in the Glossators of Roman Law, Aalen 1969.
- Kazhdan، A. Change in Byzantine Cluture in the eleven and Twelfth centuries، London، 1985.
- Landau, P. Quellen und Bedeutung des gratianischen Dekrets. Pontificia università lateranense, 1986.
- Lester, K. Little, Religious Poverty and the Profit Economy in Medieval Europe, Cornell University Press, 1978.
- Melville, R.D. Amanual of Principles of Roman Law, Edinburgh,1918.

- Moore, W, G.The Penguin Encyclopedia of Places, London,1971,P.134..
- Mousourakis,G. Alegal History of Rome, London and New York, 2007.
- Rambaud،Buhot, J. L'étude des manuscrits du Décret de Gratien conservés en France. 1953.
- Rosemann، W . P . Peter Lombard، Oxford، 2004.
- Spike, M. K. Tuscan countess the life and extraordinary times of Matilda of Canossa. Abrams,2004.
- Stien, P. Roman Law in European History, Cambridge,1999.
- Tellegen-Couperus, O. E . A short history of Roman law, Psychology Press, 1993.
- Ullman, W. the growth of papal government in Middle Ages, London, 1955.
- Walton, F, P. Historical Introduction to Roman Law, London, 1916.
- Winroth, A & Tate, J, The Teaching of Law in the Twelfth Century, Copenhagen, 2006.
- Winroth, A. The making of Gratian's Decretum, Cambridge University Press, 2009.
- Kearly,T.G. Jastice Fred Blume and The translation of
- Justinian Codes,Law liberary, 2007.

رابعًا- المراجع العربية :

- إبراهيم على طرخان، دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨.
- إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة،١٩٩٧.
- أنطونيوس فكرى، الأسرار الكنسية السبعة، مشروع الكنوز القبطية، (د.ت).
- أنمار أحمد محمد، اللاهوت المسيحى نشأته – طبيعته، ط١، دمشق، سوريا، ٢٠١٠.
- أوغسطينوس، ترجمة: الخورى يوحنا الحلو، دار المشرق، لبنان، ١٩٩١م.
- إيمان محمود سقيو، الحياة الثقافية والعلمية فى الدولة البيزنطية فى الفترة من ٨٦٧-١٠٥٦م، دار الآفاق العربية،٢٠١٣.
- بيريل سمالى، المؤرخون فى العصور الوسطى، ترجمة / قاسم عبده قاسم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- حامد زيان، الإمبراطور فريدريك باربا روسا والحملة الصليبية والحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م)، القاهرة، ١٩٧٧.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، النهضات والحضارة والنظم، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦.
- سعيد محمد طه محمد، مملكة الفرنجة فى عهدى كلوتير وابنه داجوبير الأول (٦١٤-٦٣٨م)، نور حوران، سوريا، ٢٠٢٠.
- عبد الوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (م ١-٢)، ج٢، دار الشروق، القاهرة،٢٠٠٠.
- عفاف سيد صيره، تاريخ الدولة البيزنطية، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٢.
- لويس غارديه، جورج قنواتى، الفكرالدينى بين الإسلام والمسيحية، ترجمة / صبحى صالح، الأب فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩ .
- محمد زايد عبد الله، جوانب من حضارة أوروبا في العصور الوسطى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٦.
- ..... مصادر تاريخ العصور الوسطى، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
- محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية، ص ٩١، نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٥١.
- محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.
- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية، دار المعرفية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

- محمود عبد الله مهدي عبد الحافظ، الزواج السياسي في أوروبا في العصور الوسطى (٤٩٢-٧٧٠م)، نور حوران، سوريا، ٢٠٢٠.
- محمود محمد الحويرى، مصر فى العصور الوسطى من العصر المسيحى حتى الفتح العثمانى، ط٢، مصر، ٢٠٠٢.
- مرفت محمد عبدالفتاح الديب، دور اليهود فى الدولة البيزنطية (٥٢٧-١٠٢٥م)، نور حوران، سوريا، ٢٠٢٠.
- منصور المخلصى، اللاهوت المعاصر (الله فى اللاهوت المسيحى المعاصر)، الطيف للطباعة، بغداد، ٢٠٠٢ .
- موريس كين، حضارة أوروبا فى العصور الوسطى، ط٢، ترجمة / قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٠.
- موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٦٧م.
- نعمات عبدالمبدى على محمد، ثيودورا إمبراطورة الدولة البيزنطية، نور حوران، دمشق، سوريا، ٢٠٢٠.
- نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس، ومحمود يوسف، القاهرة،،١٩٥٠.
- نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ترجمة/ قاسم عبده اسم، ج١، دار عين، القاهرة، ١٩٩٧.

خامسًا- الدوريات الأجنبية:

- Bodenheimer, E. The Influence of Roman Law on Early Medieval Culture, *Hastings Int'l & Comp. L. Rev.* 3, 1979.
- Cantoni, D. and Yuchtman, N. Medieval universities, legal institutions, and the commercial revolution, The Quarterly Journal of Economics, 129 (2), Oxford University Press,2013.
- George, M. Roman Law, Medieval Jurisprudence and the Rise of the European Ius Commune: Perspectives on the Origins of the Civil Law, Max Planck Institute,2014.
- Guterman, S.L The Principle of the Personality of Law in the Early Middle Ages: A Chapter in the Evolution of

Western Legal Institutions and Ideas, inUniversity of Miami Law review, 1966, n. 21.

- Hay,D.J. The Campaigns of Countess Matilda of Canossa (1046-1115) : analysis of the History and Social significance of awomen military Leadership، Doctoral dissertation, University of Toronto, 2000.

- Head, John W. "Justinian's Corpus Juris Civilis in Comparative Perspective: Illuminating Key Differences between the Civil, Common, and Chinese Legal Traditions." Mediterranean Studies, vol. 21,2013.

- Hermann, L.& Maximiliane,K. Römisches Recht im Mittelalter, vol. II. Die Kommentatoren (München: C.H. Beck, 2007).

- Hermanowicz, E. T. " Textual Adventures A Brief History of the Theodosian Code." *Classical Outlook*, Vol .79. n3, 2002.

- Keresztes, P. Patristic and Historical Evidence for Constantine's Christianity, in Latomus, n 1. 1983.

- Lord Mackenzie, Studies in Roma Law, London, 1876, pp.28-29, Roly, H. Roman Law in C.M.H. (ed) Bury, Vol .11.

- Mather, H. The Medieval Revival of Roman LawImplications for Contemporary Legal Education, The Catholic Lawyer, Number 4 Volume 41, Spring 2002.

- McSweeney, T. J. & Spike, M. K. The Significance of the Corpus Juris Civilis Matilda of Canossa and the Revival of Roman Law, College of William & Mary Law School,2015.

- Pennington,K Irnerius Bulletin of Medieval Canon Law, The Catholic University of America Press, Washington, Volume 36, 2019.

- Reid Jr, J. & Witte Jr, J. In the Steps of Gratian Writing،the History of Canon Law, in the 1990's, Emory LJ,48, 1999.

- Walter, R. Themes in A History of the University in Europe, vol. 1, Universities in the Middle Ages, ed. Hilde de Ridder-Symoens (Cambridge, 1992).

سادسًا- الدوريات العربية:

- أسامة إبراهيم حسيب: النظم القضائية والتشريعية في إنجلترا عهد الملك هنري الثاني، ١١٥٤-١١٨٩م، مجلة المؤرخ العربي، الناشر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد (٢٠)، ٢٠١٢.

- جمال فاروق السيد الوكيل، معركة فوبيه بين الفرنجة والقوط الغربيين عام ٥٠٧م، بحث منشور بمجلة الدراسات الإنسانية والأدبية كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، العدد (٢٦) يناير ٢٠٢٢م.

- ربيع عيد كريم، أوضاع الجرمان الاجتماعية والاقتصادية فى ضوء كتابات تاكيتوس، مجلة المؤرخ المصري، عدد (٥٨)، يناير ٢٠٢١م.

- سهام محمد عبد العظيم: صراع نساء البلاط البيزنطي في عهد الإمبراطور ثيودسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠م) مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد ٧١، العدد ١٠١.

- عفاف سيد صبره: صداق المرأة البيزنطية وحقوقها القانونية من واقع مدونة جستنيان Codex Justinunus، مجلة المؤرخ العربي، الجزء الأول، العدد ٢٧، ٢٠١٩.

- مبروكة كامل ضيف يوسف، الوضع القانوني للعبيد في بيزنطة: من القرن السادس إلى القرن الحادي عشرالميلادي، دراسة في الثابت والمتغير في القالب التشريعي، كلية التربية، جامعة دمنهور، مصر، المجلد ١٤، العدد الأول، ٢٠٢١.

- هناء محمود شمس، المرأة البرجندية في ضوء قوانين الملك جندوباد (٤٧٤-٥١٦م) بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، المجلد رقم (٣٣)، عدد (٦٣) أبريل ٢٠٢٤م.

سابعا – الرسائل العلمية العربية :

- نادية عبدالمنعم جودة حزين، توماس بيكت بين الدين والسياسة ١١١٨-١١٧٠م، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠١٥.

ثامنا – الموسوعات العلمية الأجنبية:

- The Cambridge Medieval history, Cambridge, 1948, Vol.V, P.10.
- Valdrini,P. Roman Catholic Canon Law, St Andrews Encyclopaedi of Theology,university of St Andrews,2024, https://www.britannica.com/topic/Roman-law.
- Cartwright,M. Roman Law, World History of Encyclopedia, 24 November 2013, https://www.worldhistory.org/Roman_Law

تاسعا– المعاجم الأجنبية :

– Howland,Auniversal bibgraphical dictionary, New York,1825.
– Kelly, J. The Oxford Dicitionary of Popes، Oxford 1988 .